

توضيح مقاصد المصطلحات العلمية
في

الرسالة التمهيدية

ومعه

الأسئلة والأجوبة المرضية
على الرسالة التمهيدية

بقلم

د. محمد بن عبد الرحمن الخميس





الطبعة الأولى

١٤٢٠م - ١٩٩٩م

جميع الحقوق محفوظة

لدار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو إعادة طبعه أو تصويره أو اختزان مادته، بطريقة الاسترجاع أو نقله بآية صورة دون موافقة كتابية مسبقة من الدار.

دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع

المركز الرئيسي: الكويت - الجاهلية - مجمع كازمة التجارية

صوب: ١٥١٣ - الميز البريدي 01017

هاتف: ٤٥٥٧٥٥٩ - فاكس: ٤٥٥٧٥٥٨

فج حوت: شارع حسن البصري، ق ٣٧ قسيمة ١٠، محل رقم ٣

تلفاكس: ٢٦٤١٧٩٧

البريد الإلكتروني: eLaFco@.com

الإنترنت: www.eLaFco.com



المَقْدِمَة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾^(١).

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾^(٢).

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾^(٣).

أما بعد

فقد سبق لي أن كتبت كتاباً يوضح مقاصد المصطلحات العلمية في الرسالة التدمرية، وقد طبع ولله الحمد، ثم دفع لي بعض الإخوة مذكرة فيها أسئلة وأجوبة على بعض المسائل في الرسالة التدمرية، فرأيتها ناقصة كثيرة الأخطاء، فصوّبت ما كان خطأ منها، وأكملت الناقص فيها، ولما رأيت أنها قد تنفع لعموم الحاجة إلى الإلمام بمذهب أهل السنة في الأسماء

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء، (١).

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان (٧٠، ٧١).

والصفات، فقد رأيت إلحاقها بكتاب توضيح مقاصد المصطلحات العلمية في الرسالة التدمرية، والذي سبق ذكره، ليكون كتاباً واحداً تسهلاً على الإخوة طلبة العلم، وماسطرته هنا إنما هو محاولة لتبسيط هذه المسائل وتجليتها أمام الطلاب.

وأرجو أن يكون هذا العمل في ميزان حسناتي يوم ألقى الله تعالى والله أسأل القبول، وأن ينفع من قرأه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بقلم

د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

توضيح مقاصد المصطلحات العلمية
في

الرسالة التمهيدية

ومعه

الأسئلة والجهود المرضية
حتى الرسالة التمهيدية

(١) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :
«فإنهما مع حاجة كل أحد إليهما...»^(١).

الشرح :

أقول: هذا الكلام فيه نظر ولعله من تحريف النساخ لأنه «لا يستقيم نحويًا، لأن الخبر غير موجود ولعل الصواب: «فإنهما أصلان مهمان مع حاجة كل أحد إليهما».

(٢) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

«فالكلام في باب التوحيد والصفات هو من باب الخبر الدائر بين النفي والإثبات»^(٢).

الشرح :

أقول: معناه: أن صفات الله تعالى نوعان :

الأول: صفات سلبية:

وهي صفات تسلب النقائص والعيوب عن الله تعالى مع إثبات أضدادها الكاملة.

نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾. [البقرة: ٢٥٥]
فالله تعالى لا يعتريه نوم لكمال قيوميته.

الثاني: صفات ثبوتية:

وهي صفات تثبت لله تعالى الكمال المطلق.

نحو «الحياة والسمع والبصر والقدرة والعلم ونحوها».

(١) التدمرية ص ٣.

(٢) التدمرية ص ٣.

(٣) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

«... هو من باب الخبر...»^(١).

معناه: أن نصوص الشرع نوعان:

الأول: هو خبر عن الله تعالى: بذكر صفاته وأفعاله وأسمائه، وخبر عن الرسل والكتب وأمور الآخرة.

وهذا النوع من باب العقائد، لأنه إخبار إما إثباتاً نحو: الله تعالى فوق عرشه عال على خلقه، والله على العرش استوى، وهذا من باب الإيجابيات.

وإما نفياً نحو: ليس كمثله شيء.

فهو خبر ولكن فيه نفي المثلية عن الله تعالى.

وهذا النوع يسمى أيضاً العمليات لأنه من قبيل العلم دون العمل، لأن الأخبار علم.

الثاني: هو إنشاء: وهو أمر ونهي فهو طلب. نحو ﴿وأقيموا الصلاة﴾^(٢)، ﴿ولا تقربوا الزنا﴾^(٣).

وهذا النوع يسمى العمليات والأحكام.

(١) التدمرية ص ٣.

(٢) النور (٥٦).

(٣) الإسراء (٣٢).

(٤) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -:

والكلام في الشرع والقدر هو من باب الطلب والإرادة^(١):

الشرح:

معناه أن الشرع مشتمل على أمر ونهي وإباحة وهي من باب الطلب والإنشاء.

والمراد من الشرع ههنا الأحكام العملية.

نحو «وأقيموا الصلاة»^(٢)، «ولا تقربوا مال اليتيم»^(٣).

وكذلك هذه الأحكام من باب الإرادة الدائرة بين المحبة والكراهية، فالأوامر كلها من باب المحبة، والنواهي كلها من باب الكراهية.

(٥) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -:

«... وأما الكلام في القدر»^(٤):

الشرح:

لقد صرح شيخ الإسلام في كلامه هذا: بأن القدر من باب الطلب والإرادة:

ولكن أقول: إن هذا يحتاج إلى تفصيل:

وهو أن القدر له جهتان، جهة الإخبار، وجهة الإرادة.

(١) التدمرية ص ٣.

(٢) النور (٥٦).

(٣) الأنعام (١٥٢).

(٤) التدمرية ص ٣ - ٤.

فالقدر من جهة الإخبار - هو من باب الخبر نفيًا أو إثباتًا، فإذا أخبر الله تعالى أنه قدر كذا وكذا - أو أنه ليس بكذا فهو من باب الخبر. وأما نفس القدر - فهو من باب الإرادة.

فالله تعالى قد أراد أشياء وأحبها فقدرها كونا وأرادها شرعاً كالتوحيد والطاعات، وقدر أشياء كونا ولكنه لم يقدرها شرعاً لأنه لم يحبها بل كرهها وأبغضها فلم يردّها شرعاً، كالكفر والفسوق.

(٦) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله :-

(وهو التوحيد في القصد والإرادة والعمل، والأول يتضمن التوحيد في العلم والقول)^(١).

الشرح :

معناه أن التوحيد نوعان :

توحيد العبادة والألوهية وهو توحيد الله تعالى بأفعال العبد فعلى العبد أن لا يعبد إلا الله ولا يعبد إلا له.

فعلى العبد أن لا يقصد بأفعاله إلا الله - عز وجل - ولا يريد بأعماله إلا الله تعالى فهذا النوع من التوحيد يتضمن القصد والعمل والإرادة.

وهو توحيد عملي فعلي قولي مالي بدني قصدي إرادي.

والنوع الآخر: توحيد الصفات.

فهو علم واعتقاد بأن الله تعالى متصف بالصفات الكمالية التامة ومنزه عن العيوب والنقائص.

(١) التدمية ص ٤.

فهذا التوحيد علمي اعتقادي خبري .

وهو توحيد قولي أيضاً لأنه لا بد فيه من القول باللسان مع الاعتقاد بالجنان .

ومن هذه الناحية دخل القول في النوع الأول أيضاً لأن ذكر الله تعالى بأسمائه وصفاته نوع من القول وهو عبادة في الوقت نفسه .

فهذه مصطلحات شرعية ولكل مصطلح وجه وتوجيه .

ثم الاعتقاد بأن الله تعالى مستحق للعبادة، يدخل في النوع الثاني من التوحيد .

لأن هذا من باب العلم والقول والإخبار

وعبادة الله تعالى بتوحيد الصفات . تدخل في النوع الأول من التوحيد وهو توحيد الألوهية وتوحيد العمل والإرادة لأن هذه العبادة من قبيل أعمال القلوب واللسان .

(٧) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية. رحمه الله.

(ولا يشتون إلا وجوداً مطلقاً لا حقيقية له عند التحصيل...) (١)

الشرح:

معناه: أن هؤلاء الكفار من فلاسفة اليونان ومن معهم من المتفلسفة والجهمية، والمعطلة لا يؤمنون بصفات الله تعالى ولا يصفون الله تعالى بشيء من صفاته التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ، وإنما يعتقدون أنه وجود مطلق خال عن الصفات التي تقيد الموصوف، والشيء

(١) التدمرية ص ٨ .

إذا لم يكن له صفة فهو غير معقول؛ ولا يكون له وجود خارج الأذهان وإنما وجوده وجود ذهني.

فالذهن يتصوره ولكن لا وجود له في الخارج فهو شيء معدوم؛ لأن المعدوم لا صفة له.

فالله تعالى على قول هؤلاء الجهمية معدوم في الحقيقة ولا وجود له لأنهم يصفونه بصفات المعدوم بل الممتنع.

فيقولون: إنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل بالعالم ولا منفصل عنه، ولا فوقه ولا تحته ولا كذا ولا كذا فهؤلاء مع كونهم غلاة المعطلة فهم مشبهة أيضاً لأنهم شبهوا الله بالمعدومات بل بالمتنعات وهذا أول نوع من المعطلة، وسيأتي أصناف أخرى من المعطلة.

(٨) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية. رحمه الله:

(وجعلوا هذه الصفة الأخرى فجعلوا العلم عين العالم مكابرة...)^(١).

الشرح:

هذه حكاية مذهب آخر لنوع آخر من المعطلة الغلاة وهذا المذهب شبيه بالمذهب الأول؛

ولكنه أخف كفراً، والأول أشد كفراً.

لأن الأولين كانوا يصفون الله بالوجود المطلق عارياً عن الصفات.

وأما هؤلاء المعطلة فقد وصفوه بالسلوب، وأيضاً وصفوه «بالصفات

(١) التدمرية ص ٨.

الإضافية» نحو قبل كل شيء وبعد كل شيء ونحو ذلك من الصفات التي هي صفات بالنسبة إلى شيء آخر.

فهؤلاء بسبب إثباتهم الصفات الإضافية صاروا أخف كفرا من الأولين.

ولكنهم مع هذا كله قولهم في غاية التعطيل الذي يستلزم كون الله تعالى معدوما بل ممتنعاً مثل المذهب الأول؛ لأنهم لا يميزون بين الصفة وموصوفها، فيقولون باتحاد العالم والعلم فجعلوا الصفة هي الموصوف وجعلوا العلم هو العالم، كما أنهم لا يميزون بين صفة وأخرى، فيقولون باتحاد العلم والقدرة وهذا معلوم فساد به بالداهة الضرورية.

هذا هو المذهب الثاني يتلوه المذهب الثالث.

(٩) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -

(فمنهم من جعل العليم والقدير والسميع والبصير كالأعلام المحضة المترادفات)^(١).

الشرح:

أقول: هذا نوع ثالث من المعطلة وهم كثير من المعتزلة فهم أثبتوا لله تعالى الأسماء ولكن بدون ما تدل عليه من المعاني التي هي صفات كمالية.

فجعلوا أسماء الله تعالى كأسماء الأعلام المجردة عن المعاني نحو زيد. وعمر وبكر بدون ملاحظة أي صفة وأي معنى هذا هو معنى (الأعلام المحضة) فالعلم المحض لا معنى له غير المسمى نحو زيد، فمعنى زيد هو المسمى بزيد لا غير وهكذا جعلوا أسماء الله تعالى أعلاما محضة بدون معنى

(١) التدمرية ص ٨.

مع أن أسماء الله تعالى نحو السميع والبصير والعليم مع دلالتها على الله تعالى. تدل على معاني هي صفات كمالية، وهي السمع والبصر والعلم. فليست أسماء الله تعالى كالأعلام المحضة بل هي أسماء مع دلالتها على الصفات الكمالية، ولذلك سميت حسنى لدلالاتها على الصفات الحسنة.

(١٠) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -

«... المترادفات»^(١).

الشرح:

الأسماء المتعددة الدالة على مسمى واحد بدون تعدد المعاني تسمى مترادفات؛ كأن يكون لشيء واحد أسماء عديدة بدون ملاحظة معانيها، كالأسد والغضنفر للحيوان المفترس المعروف.

فهؤلاء الجهمية جعلوا أسماء الله تعالى: من السميع والبصير والقدير والعليم. أسماء لمسمى واحد بدون ملاحظة معانيها وهي السمع والبصر والقدرة والعلم؛ وهذا تعطيل سافر وإلحاد.

(١١) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -

(ومنهم من قال عليم بلا علم وقدير بلا قدرة سميع بصير بلا سمع ولا بصر...)^(٢).

الشرح:

أقول: هذا صنف آخر من المعتزلة الجهمية.

(١) التدمرية ص ٨.

(٢) التدمرية ص ٨.

وقولهم هذا لا يختلف عن قول الصنف الأول إلا في التعبير، وإلا فكلهم يثبتون الأسماء دون ما تدل عليه من الصفات الكمالية والمعاني الحسنة.

غير أن الأولين لا يصرحون بأن الله عليم بلا علم بل يقولون عليم وسميع ولا صفة له ولكن هؤلاء يفسرون قولهم فيقولون: إنه عليم بلا علم سميع بلا سمع.

(١٢) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -

(ولو أمعنوا النظر لسوا بين التماثلات وفرقوا بين المختلفات كما تقتضيه المعقولات)^(١).

الشرح:

معناه: أن زيداً وعمراً وبكراً قد يكونون من التماثلات وصفاتهم من التماثلات فالعقل يجوز أن زيداً مثل عمرو وصفة زيد مثل صفة عمرو مثلاً.

والخالق والمخلوق من المختلفات.

فالعقل يحكم أن الخالق لا يشبه المخلوق فهكذا صفة الخالق لا تشبه صفة المخلوق.

وهؤلاء يدعون أنهم من أهل المعقولات.

ولكنهم في الحقيقة من أهل المجهولات وأهل السفسطة والقرمطة

(١) التدمرية ص ٨ - ٩.

ولذلك تراهم يفرقون بين التماثلات ويسوون بين المختلفات فيزعمون أنه لو ثبت لله تعالى صفة لكان مشابها للمخلوق فسووا بين المختلفات.

ونفوا القدر المشترك بين الصفات ففرقوا بين التماثلات.

(١٣) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -

(ولكنهم من أهل المجهولات المشبهة بالمعقولات)^(١).

الشرح:

معناه: أن هؤلاء المعطلة بسبب تعطيلهم. ليسوا أصحاب العقول والعلوم والأدلة والبراهين المعلومة، بل هم أصحاب الأمور الجاهلية المجهولة، التي لا تزيدهم إلا جهلاً على جهل وعمى على عمى وضلالاً على ضلال وظلمات على ظلمات، وهي شبهات وليست أدلة ولكن هذه الشبهات المجهولة اشتبهت عليهم فظنوها أدلة قطعية وبراهين قوية، مع أنها كاسرة مكسورة وشبهات محضة.

(١٤) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -

(والحادث ممكن ليس بواجب ولا ممتنع)^(٢).

الشرح:

أقول: الحادث في الاصطلاح العام للمناطقة والمتكلمين ما وجد بعد أن لم يكن، فهو مرادف للمخلوق.

(١) التدمرية ص ٨ - ٩.

(٢) التدمرية ص ٨ - ٩.

وقد يطلق «الحادث» ويراد به المتجدد - فيكون أعم من المخلوق .
فالحادث على هذا قد يكون مخلوقاً كالحوادث اليومية في الكون وكذا
الكون نفسه وقد لا يكون مخلوقاً مع كونه متجدداً؛ نحو قوله تعالى:
﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾^(١).

فالذكر المحدث هو القرآن .

وهو غير مخلوق وإن كان متجدداً .

والمراد من «الحادث» في كلام الشيخ هو المعنى الأول وهو
المخلوق .

و«الممكن» ما استوى طرفاه أي وجوده وعدمه أي وجوده وعدمه غير
ضروري .

فالممكن إذا ترجح جانب وجوده فالله تعالى يخلقه ويوجده بعد أن لم يكن .

و«الواجب» ما كان وجوده ضرورياً، كالله تعالى فإن وجوده واجب
أي ضروري «والممتنع» هو ما كان عدمه ضرورياً كوجود خالقين مثلاً أو
الشريك لله تعالى .

فإنه لا يمكن أن يكون لله شريك لا عقلاً ولا شرعاً .

(١٥) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -

(بل الذهن يأخذ معنى مشتركاً كلياً هو مسمى الاسم المطلق)^(٢) .

(١) سورة الأنبياء، الآية : ٢ .

(٢) التدمرية ص ٨ - ٩ .

الشرح:

أقول: إن الجهمية يزعمون أنه لو ثبت لله الصفات لكان مشابهاً للمخلوقات.

فرد عليهم شيخ الإسلام وقال لهم: إنه لا شك أن الله تعالى يطلق عليه أنه موجود والمخلوق يطلق عليه أنه موجود.

فكلاهما يشتركان في الوجود العام الكلي المطلق الذي لا خصوص فيه ولا تقييد.

فهذا هو معنى «الاسم المطلق» أي الاسم العام الذي لا خصوص فيه ولا تقييد فيه.

فمن هذه الناحية يشترك الله تعالى والخلق في الوجود المطلق العام. وهذا هو القدر المشترك.

لأن كل واحد موجود، ولكن سرعان ما يزول التشبيه ويتحقق الفارق بين وجود الله تعالى وبين وجود المخلوق.

لأن «الوجود» قبل الإضافة كان له مفهوم عام مطلق غير مقيد وغير مخصص.

ولكن إذا قيد (الوجود) بإضافته إلى الله تعالى صار فيه تخصيص وتقييد، وكذا إذا أضيف (الوجود) إلى المخلوق صار فيه تخصيص وتقييد.

لأن كل صفة تناسب موصوفها فوجود الله تعالى غير وجود الخلق ووجود الخلق غير وجود الخالق فمن ههنا ارتفع التشبيه وتحقق الفارق فلا تشبيه إذاً في إثبات الصفات لله تعالى فزالت شبهة الجهمية.

(١٦) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله:

(ولكن ليس للمطلق مسمى موجود في الخارج ولكن العقل يفهم من المطلق قدراً مشتركاً بين المسميين وعند الاختصاص يقيد ذلك بما يتميز به الخالق عن المخلوق والمخلوق عن الخالق)^(١).

الشرح:

أقول: هذا الكلام تفصيل وتفسير وتوضيح للكلام السابق.

وخلاصته: أن «العلم» مثلاً له جهتان جهة العموم والإطلاق وعدم التخصيص وعدم التقيد.

فلا شك أنه بهذا الاعتبار كلي واسم مطلق وأمر عام، ومشارك بين علم الله تعالى وبين علم المخلوق.

ولكن «العلم» بهذا الاعتبار لا وجود له في الخارج لأن الاعتبار الكلي والاسم المطلق والشيء العام لا يوجد في الخارج.

وإنما يتصوره الذهن فقط دون وجوده في الأعيان لأن الشيء من حيث عموميه لا وجود له في الواقع وإنما الموجود هو الأفراد بخصوصها لا بعمومها فالعلم المطلق من حيث إنه كلي مشترك لا وجود له في الخارج وإنما وجوده وجود ذهني فقط، يتصور العقل وجوده في الأذهان دون الأعيان.

ولكن إذا قيد «العلم» ويقال: «علم» الله تعالى، أو «علم» المخلوق فحيث يوجد في الخارج لأنه صار مقيداً خاصاً بسبب الإضافة، فالآن لا اشتراك فيه ولا تشبيه فإذا قيل علم الله وعلم المخلوق تميز علم الخالق عن علم المخلوق.

(١) التدمرية ص ١٠.

(١٧) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله:

(ما دل عليه الاسم بالمواطأة..)(١).

الشرح:

أقول: هذا أيضاً شرح للكلام السابق وتفسير له.

وحاصله: أن «العلم» مثلاً قبل الإضافة وقبل التقييد وقبل التخصيص:

يطلق على «علم» الله تعالى وعلى «علم» المخلوق إطلاقاً سوياً، فعلم الله أيضاً علم» وعلم المخلوق أيضاً «علم» والعلم يطلق عليهما على حد سواء.

هذا هو معنى «المواطأة» ومعنى «الاتفاق» فالكلي المتواطىء هو ما يدل ويطلق على أفراد على حد سواء كالإنسان فإنه يطلق على زيد وبكر على السواء ويقابله الكلي المشكك كالأبيض فإنه يطلق على أفراد ولكن مع التفاوت والزيادة والشدة في بعض أفراده دون بعض فإن بياض هذا الجدار أشد من بياض ذلك الجدار مثلاً.

(١٨) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله:

(وإن قلت: الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام فيقال له: الإرادة ميل النفس إلى جلب منفعة أو دفع مضرة.

فإن قلت: هذه إرادة المخلوق قيل لك: وهذا غضب المخلوق)(٢).

(١) التدمرية ص ١٠.

(٢) التدمرية ص ١٥.

الشرح:

أقول: هذان نقضان وإلزامان من جانب شيخ الإسلام للرد على هؤلاء الجهمية المعطلة الذين يعطلون بعض الصفات بشبهة التشبيه دون بعض فيثبتون لله الإرادة. ولكن ينفون عنه الغضب بشبهة التشبيه، لأن الغضب عندهم غليان دم القلب بطلب الانتقام، والله تعالى منزّه عن الدم والقلب فإذا ثبت لله تعالى «الغضب» صار مشابهاً لخلقه.

هذه كانت شبهة التشبيه فعارضهم شيخ الإسلام وقال لهم: قولكم هذا متناقض متهافت مضطرب لأنكم نفيتم «الغضب» لحجة التشبيه فهلا نفيتم عنه «الإرادة» مع أن الإرادة ميل النفس إلى جلب المنفعة ودفع المضرة، والله تعالى منزّه عن ميل النفس عندكم وكذا عن جلب المنفعة ودفع المضرة لأنه غني غير محتاج، هذه كانت معارضة أولى والمعارضة الثانية: هي:

أنه إن قالوا في الجواب: إن هذه إرادة المخلوق لا إرادة الخالق فيقال لهم، هذا غضب المخلوق دون غضب الخالق، فلا تشبيه البتة. إذاً لا بد من إثبات الصفات كلها غضباً كانت أو إرادة أو غيرها.

(١٩) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله:

(عدم الدليل المعين لا يستلزم عدم المدلول المعين)^(١).

الشرح:

معناه: أن المدلول (الدعوى) أو (المطلوب) قد تكون له أدلة كثيرة.

(١) التدمرية ص ١٦.

فإذا انتفى دليل واحد لا يستلزم ذلك انتفاء ذلك المدلول، لأن ذلك المدلول ثابت بأدلة أخرى غير ذلك الدليل.

فانتفاء الدليل المعين الخاص لا يستلزم انتفاء المدلول.

مثال ذلك أن الشمس ثابتة بأدلة كثيرة منها الحس ومنها النور ومنها الحرارة فإذا انتفى دليل الحس في الأعمى مثلاً لا يستلزم انتفاء الشمس. لأن الشمس ثابتة بدليل النور وبدليل الحرارة أيضاً.

(٢٠) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله:

فإن قلت إنما يمتنع نفي النقيضين عما يكون قابلاً لهما، وهذان يتقابلان تقابل العدم والملكة لا تقابل السلب والإيجاب.

فإن الجدار لا يقال له: أعمى ولا بصير ولا حي ولا ميت...^(١).

الشرح:

أقول: هذا الكلام يحتاج إلى ذكر عدة من المصطلحات المنطقية.

فأقول: النسبة بين الشيئين قد تكون نسبة التخالف فهما متخالفان.

١ - والمتخالفان إن كان أحدهما وجودياً والآخر عديمياً، فهما نقيضان نحو الإنسان واللاإنسان والنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان.

٢ - وإن كان كلاهما وجودياً لا يمكن أن يجتمعا ولكن يجوز ارتفاعهما نحو الإنسان والحجر فهما ضدان، أو متضادان.

فالإنسان والحجر لا يجتمعان في محل واحد.

(١) التدمرية ص ١٨.

فلا يقال: هذا الشيء إنسان وحجر، ولكن يجوز ارتفاعهما.

فيقال: هذا الشيء لا حجر ولا إنسان لأنه كتاب.

٣ - وإن كان تَعَقَّل أحدهما موقوفاً بِتَعَقُّل الآخر فهما متضائفان. نحو الأب والابن.

فزيد يمكن أن يكون أباً وابناً في جهة واحدة ولكن يجوز أن يكون أباً لشخص آخر ولكن لا يتصور الأب بدون الابن ولا الابن بدون الأب.

٤ - وإن كان أحدهما وجودياً والآخر عدمياً ولكن محل العدمي قابل للوجودي. فهما عدم وملكة.

نحو العمى والبصر.

فالعمى: عدم البصر عما من شأنه أن يكون بصيراً.

وإذا علمت هذا فاعلم: أن من الجهمية من قال: إن الله تعالى لا حي ولا ميت ولا موجود ولا معدوم فينفي عنه النفي والإثبات، فرد عليهم شيخ الإسلام بأن هذا رفع للنقيضين وهذا باطل بإجماع العقلاء.

فقال هؤلاء الجهمية: إن هذا ليس من قبيل رفع النقيضين، بل هذا من قبيل رفع العدم والملكة، ويجوز في العدم والملكة أن يرتفعاً فيقال: هذا الجدار لا أعمى ولا بصير، لأن المحل إذا لم يكن قابلاً يجوز حيثن أن تنفي عنه العدم والملكة.

فأجاب شيخ الإسلام بأن الوجود والعدم ليسا من قبيل العدم والملكة بل هما من قبيل الإيجاب والسلب أي هما من قبيل المتناقضين، ولا يجوز رفع المتناقضين كما لا يجوز اجتماعهما.

هذا أول جواب وهو يتعلق بالوجود والعدم.

والجواب الثاني: أن الحياة والموت والعلم والجهل وإن كانا من قبيل العدم والمملكة عندكم ولكن هذا اصطلاح خاص بكم لا نسلم به فإن هذا اصطلاح يصادم الشرع والعقل واللغة:

أما الشرع فقد أطلق الله تعالى على الجماد أنه ميت، فقال تعالى: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾^(١) فسمى الجماد ميتاً.

وهكذا أهل اللغة يسمون الجماد ميتاً والعقل يحكم أن الشيء إذ لم يكن حياً فهو ميت.

والجواب الثالث: أننا لو سلمنا اصطلاحكم، نقول لكم: إن المتصف بالحياة والبصر والعلم أفضل ممن لا يتصف بها، فكيف تنفون عن الله تعالى الحياة والبصر والعلم وتصفون المخلوق بهذه الصفات الكمالية. فقد جعلتم المخلوق أفضل من الخالق وهذا غاية الشناعة في التشبيه.

(٢١) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله:

(وهؤلاء الباطنية منهم من يصرح برفع النقيضين الوجود والعدم ورفعهما كجمعهما)^(٢).

الشرح:

أقول: معناه أن طائفة من الباطنية تزعم أن الله لا موجود ولا معدوم فيرفعون الوجود والعدم.

(١) سورة النحل، الآية: ٢١.

(٢) التدمرية ص ١٩.

ولا شك أن نفي الوجود والعدم عن الله تعالى كجمعهما في البطلان،
كمن قال: إن الله معدوم وموجود وكلاهما من أوضح الأباطيل.

(٢٢) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله:

(ومن يقول: لا أثبت واحداً منهما) إلى آخره^(١).

الشرح:

معناه أن هذا الباطني الجهمي المعطل الغالي يزعم أنه لا يقول: إن الله
عالم كما لا يقول إنه جاهل كما أنه لا يقول إنه حي كذلك لا يقول إنه ميت
فلا يثبت هذا ولا هذا، بل يتوقف في ثبوت كل واحد منها.

أجاب شيخ الإسلام عن هذه الشبهة بجوابين:

الجواب الأول: أن امتناع هذا الجهمي عن إثبات أحد هاتين الصفتين
لا يستلزم نفيهما في نفس الأمر؛ لأن الامتناع عن إثبات شيء لا يمنع تحقق
ضد ذلك الشيء في نفس الأمر، لأن جهل الجاهل وسكوت الساكت الذي
لا يعبر عن الحقائق لأن عدم العلم بالشيء ليس علماً بعدمه وامتناعه، فإن
الجاهل بالشيء لا يقتضي جهله أن يحكم بأنه غير موجود، وكذا الساكت
عن الشيء والمتوقف فيه لا يقتضي توقفه وسكوته بأنه غير موجود.

والجواب الثاني: أن ما يقبل الحياة والموت والعلم والجهل أكمل
حالاً مما لا يقبل الحياة ولا الموت ولا العلم ولا الجهل فإن نفيته عن الله
تعالى الحياة والعلم مثلاً - فقد شبهت الله تعالى بما لا يقبل الحياة ولا
العلم.

(١) التدمرية ص ١٩.

وما لا يقبل الحياة ولا العلم أقرب إلى الامتناع مما يقبل تلك الصفات.

فصار هذا المعطل أعظم مشبه، لأنه قد شبه الله تعالى بالمعدومات والممتنعات.

ولهذا قال شيخ الإسلام في الرد عليهم في ص ١٩ :
(وإذا كان ما لا يقبل الوجود ولا العدم أعظم امتناعاً مما يقدر قبوله لهما...).

(٢٣) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله:

(وإن قال نفاة الصفات، إثبات العلم والقدرة والإرادة مستلزم تعدد الصفات وهذا تركيب ممتنع)^(١).

الشرح:

أقول: حاصل هذا الكلام: أن من شبهات الجهمية أنهم يزعمون أنه لو ثبت لله صفات متعددة كالعلم والبصر والحياة والكلام مثلاً.

يستلزم ذلك تركيباً في الله تعالى، والله منزّه عن التركيب.

فأجاب شيخ الإسلام رحمه الله عن هذه الشبهة لقوله:

إنكم أيها الجهمية الباطنية:

قد قلتم إن الله تعالى موجود واجب وعقل وعاقل ومعقول ومعشوق ولذيد وملتذ ولذة أليست هذه صفات متعددة؟!!

أليس هذا تركيباً في الله تعالى؟!!

(١) التدمرية ص ٢٦.

فما بالكم تُسمون تركيبكم توحيداً وتسمون توحيدنا تركيباً وتشبيهاً؟!

(٢٤) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

(واجب الوجود)^(١)

الشرح :

أقول : الواجب الوجود :

هو الذي وجوده واجب وعدمه ممتنع وهو الله تعالى وضده «ممتنع الوجود» وهو الذي عدمه واجب ووجوده ممتنع كشريك الباري وقصد شيخ الإسلام أن هؤلاء المعطلة يحاولون أن يثبتوا أن الله تعالى واجب وجوده، ولكنهم لأجل تعطيلهم جعلوا الله تعالى ممتنع الوجود لأنهم وصفوه بصفات المعدوم والممتنع.

فدليلهم الذي أقاموه على إثبات كون الله تعالى واجب الوجود هو في الحقيقة دليل على كون الله تعالى ممتنع الوجود، فقد هدموا بنيانهم بأيديهم!

(٢٥) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

(إنها لا تدرك الأمور المعينة والحقائق الموجودة في الخارج وإنما تدرك الأمور الكلية المطلقة)^(٢).

الشرح :

أقول : «الأمور المعينة» يقصد بها الجزئيات الخارجية التي هي أفراد

(١) التدمرية ص ٢٦.

(٢) التدمرية ص ٢٦.

واقعية في العالم المحسوس .

كأفراد الإنسان نحو زيد وعمرو وبكر وخالد ومحمد وأحمد فإن
الإنسان الكلي باعتبار مفهومه العام لا يوجد في الخارج لأنه أمر ذهني .

وإنما يوجد في الخارج هو أفراد ذلك المعنى الكلي .

قوله : «والحقائق الموجودة في الخارج» بيان وتفسير وشرح لقوله :
«الأمور المعينة» .

وقوله : «الأمور الكلية المطلقة» .

معناه : الكلي من حيث العموم لا من حيث حصوله في أفرادهِ .

والمعنى : أن الروح عند هؤلاء لا تدرك الأمور الجزئية بل تدرك الأمور
العامة الكلية غير المقيدة .

أقول : هذا مذهب باطل لا دليل عليه ، بل الروح تدرك الأمور الجزئية
كما تدرك الأمور الكلية ، فإن الروح موصوفة بأنها تعرج وتصعد
وتقبض وتُسَلُّ وغير ذلك من الأمور الكلية والجزئية التي وردت في الكتاب
والسنة مع بيان أن الروح تدركها .

(٢٦) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

(وقد غفلوا عن كون الكليات لا توجد كلية إلا في الأذهان لا في الأعيان)^(١) .

الشرح :

أقول : الكليات جمع كلى ، وهو خلاف الجزئي ، والكلي عند
المناطق ، ما لا يمنع نفس تصور مفهومه عن وقوع الشركة فيه كالإنسان

(١) التدمرية ص ٢٧ .

العام، فإنه يشترك فيه زيد ومحمد وبكر فيدخل جميع أفراد الإنسان في مفهومه العام بخلاف الجزئي، نحو زيد؛ فإنه لا يصدق إلا على هذا الفرد الواحد فقط لاغير.

وإذا عرفت تعريف الكلي، فاعلم أن الكلي من حيث العموم أمر ذهني لا يوجد في الخارج، لأن الخارج لا يوجد فيه إلا الأعيان دون الأمور الذهنية، فالكلي يتصوره الذهن فقط فلا وجود له في الخارج.

الحاصل: أن هؤلاء المعطلة يصفون الله تعالى بصفات تقتضي أن لا يكون الله تعالى موجوداً في الخارج، بل تجعله موجوداً ذهنياً فقط فلا شك في إبطال هذا المذهب لأن الله تعالى موجود بذاته خارج الأذهان في الخارج.

(٢٧) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

(هو المركب من الجواهر المفردة ومنهم من يقول: هو المركب من المادة والصورة..)^(١).

الشرح:

أقول: اختلف المتفلسفة تبعاً للفلاسفة الكفرة في تركيب الجسم، ما هو الجسم؟ ومن أي شيء يتركب فذكر شيخ الإسلام ههنا عدة أقوال لهم في الجسم وتركيبه مع اتفاقهم على أن الجسم يشار إليه إشارة حسية بأنه هنا أو هناك أو ههنا!

فبعضهم يقول: الجسم ما كان مركباً من الجواهر المفردة.

والجواهر المفردة جمع الجوهر المفرد.

(١) التدمرية ص ٢٩.

والجوهر المفرد هو الجزء الصغير الذي لا يمكن تقسيمه؛ أي لا يقبل القسمة والانقسام قطعاً.

ويقال له: الجزء الذي لا يتجزأ، أي لا ينحل.

فالجوهر خلاف العرض؛ فالجوهر ما كان قائماً بنفسه كالجسم مثلاً. والعرض ما كان قائماً بغيره كاللون مثلاً نحو بياض الثلج، وسواد الزنجي، وهي قائمة بغيرها لاتقوم بأنفسها.

والمفرد أي الجزء المفرد الذي لا ينقسم إلى جزئين فصاعداً.

وبعضهم يقول: الجسم ما كان مركباً من المادة والصورة.

والمراد بـ «المادة» أصل الشيء،

والمراد من «الصورة» وضع الشيء بعد تركيبه أي هيئته وشكله وتناسب بعض أجزائه مع بعض.

(المادة) ههنا جوهر، (والصورة) ههنا عرض.

وأقول: مقصود شيخ الإسلام من هذا المبحث الطويل تبكيت المتكلمة ومناظرتهم بقواعدهم وعلومهم ومصطلحهم، فيريد شيخ الإسلام إثبات أمور.

الأمر الأول: أن الروح مما يشار إليه إشارة حسية فالروح سواء كانت جسماً أم لا ولكنها متصفة بعدة صفات؛ كالوجود والحياة، والعلم والسمع والبصر والصعود والنزول والذهاب والمجيء ونحوها من الصفات وهي فينا ومعنا، وهي مخلوقة.

ومع ذلك نرى أن العقول قاصرة عن إدراك حقيقتها؛ فكيف تصل العقول إلى إدراك حقيقة صفات الله تعالى وذاته وكنهه وكيفية صفاته وتحديدها.

الأمر الثاني: أن من نفى صفة من صفات الروح، كان جاحداً معطلاً

مبطلاً؛ فما بالك بمن نفى صفة من صفات الله تعالى فإنه يكون معطلاً جاحداً مبطلاً بالطريق الأولى.

الأمر الثالث: أن من شبه صفة الروح بصفات غيرها من المخلوقات كان مشبهاً.

فكذلك من شبه صفة من صفات الله تعالى بصفات خلقه، كان مشبهاً بالطريق الأولى.

والأمر الرابع: وهو الأهم: وهو أن الروح مخلوقة وموجودة فينا وهي معنا وهي متصفة بعدة صفات كما سبق بيانه، فإذا آمنا بصفات الروح ووصفنا الروح بتلك الصفات التي اتصفت بها الروح ولم يلزم من ذلك أن نكون مشبهين فكذلك إذا آمنا بصفات الله تعالى ووصفنا الله تعالى بصفاته اللاتقة به سبحانه وتعالى من غير تكييف ولا تشبيه - لا يلزم من ذلك أن نكون مشبهين لله تعالى بخلقه.

(٢٨) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -:

(فالذين لا يصفونه إلا بالسلوب...) (١).

الشرح:

أقول: السلوب جمع سلب والسلب هو النفي، والمراد أن هؤلاء المعطلة الغلاة لا يصفون الله تعالى بصفات ثبوتية كالسمع والبصر والعلو ونحوها من الصفات الكمالية الدالة على مطالب عظيمة ومعارف دالة على عظمة الله سبحانه وتعالى، بل هؤلاء المعطلة الغلاة - يصفون الله تعالى بأمور منفية فيقولون: الله لا معدوم ولا موجود ولا يتكلم ولا يرى ولا

(١) التدمرية ص ٣٠.

يسمع لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا أمام ولا خلف ولا داخل ولا خارج ولا متصل ولا منفصل فهذه الصفات في الحقيقة ليست بصفات كمالية بل هي صفات للمعدوم المحض، بل للممتنع البحت وليست هذه الصفات للموجود أصلاً، فضلاً عن أن تكون لواجب الوجود؟!!

(٢٩) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

(قيل له : هذا اصطلاح اصطلاحتموه . . . مع اتصافه بنقائضها) (١).

الشرح :

أقول : هذا جواب عن اعتراض الجهمية، وتقرير هذا الاعتراض : أن الجهمية لما وصفوا الله تعالى بأنه «لا حي ولا ميت»، فنفوا عن الله تعالى الحياة والممات معاً فأورد عليهم أهل السنة إشكالاً - تقريره :

إنكم أيها الجهمية قد وصفتم الله تعالى بأنه لا حي ولا ميت فنفيتم عن الله تعالى الحياة وضدها الممات . وهذا النفي لا يمكن عقلاً، لأنه إذا لم يكن حياً لا بد أن يكون ميتاً وإذا لم يكن ميتاً لا بد أن يكون حياً.

وإلا يلزم رفع النقيضين، ورفع النقيضين باطل باتفاق العقلاء.

فأجاب هؤلاء الجهمية عن هذا الإشكال فقالوا : لا يلزم من قولنا : (لا حي ولا ميت) - رفع النقيضين : لأن الحياة والممات ليسا نقيضين ؛ بل هما من قبيل العدم والملكة والقاعدة في المتخالفين تخالف العدم والملكة : أن يكون محل العدمي صالحاً للوجودي وبالعكس.

نحو : العمى والبصر . فالعمى عديمي والبصر وجودي .

(١) التدمرية ص ٣١.

فمحل العدمى هنا صالح للوجودي وبالعكس فزيد بصير مثلاً لكنه صالح لأن يكون أعمى وبكر أعمى مثلاً ولكنه صالح لأن يكون بصيراً. وأما إذا لم يكن ذلك المحل قابلاً للآخر - فحيثذ يجوز لك أن تنفي الوجودي والعدمى كليهما؛

لأنه لا يلزم حيثذ ثبوت أحدهما بنفي الآخر أو بنفي أحدهما ثبوت الآخر.

وذلك كالجدار فإن الجدار ليس محلاً للعلم ولا للجهل، فإذا قلت: هذا الجدار لا عالم ولا جاهل جاز لك هذا؛

لأنه لا يلزم من قولك: الجدار ليس بعالم - أن يكون الجدار جاهلاً. وإذا نفيت الجهل عن الجدار وقلت الجدار ليس بجاهل لا يلزم منه أن يكون الجدار عالماً، فيصبح لك أن تقول: هذا الجدار ليس بعالم ولا جاهل ولا حي ولا ميت، فهكذا يجوز لك أن تقول: الله ليس بحي ولا ميت ولا عالم ولا جاهل.

هذا كان تقرير اعتراض الجهمية وبيان إشكالهم على جواب أهل السنة؛

ولكن أجيب عن هذا الإشكال على لسان شيخ الإسلام فقال:

إن هذا الذي ذكرتم في بيان التناقض والتخالف والعدم والملكة - من تلك القاعدة - فهذه القاعدة فاسدة غير صادقة؛ فإن هذه القاعدة مجرد اصطلاح اصطلاحتموه ولسنا متفقين معكم عليها؛

فلا حجة لكم فيها علينا؛ لأنه من المعلوم: أن ما يوصف بعدم الحياة والسمع والبصر والكلام يمكن وصفه بالموت والعمى والخرس والعجمة. فكل موجود يقبل الاتصاف بهذه الأوصاف ونقائضها؛ يجوز لك أن

تصفه بها أو بأضدادها كقولك زيد بصير وعمرو أعمى ، ولكن لا يجوز لك أن تقول: زيد لا بصير ولا أعمى . وكل من يجوز أن تصفه بهذه الكلمات دون أضدادها - لا يجوز لك أن تصفه بتلك الأضداد، فواجب عليك أن تقول: الله عليم بصير ولا يجوز أن تقول الله جاهل وأعمى؛ كما لا يجوز أن تقول: الله لا عالم ولا جاهل ولا حي ولا ميت فإنه أشد فساداً عقلاً ونقلاً.

وكل ما لا يجوز وصفه بتلك الملكات ويجوز وصفه بأضدادها - تصفه بأضدادها كالجدار مثلاً، فيصح أن يقال للجدار: جاهل لا علم له، وإنه ميت لا حياة فيه فإن الله تعالى وصف الجماد بالموت وعدم العلم. فقال: ﴿أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون﴾^(١) ولا تقول: الجدار لا عالم ولا جاهل ولا حي ولا ميت.

هذا هو الجواب الأول.

والجواب الثاني أن نقول: إن الله تعالى قادر على جعل الجماد حياً؛ كما جعل عصا موسى حيةً.

والجواب الثالث أن نقول: إن الذي لا يقبل الاتصاف بهذه الصفات هو أعظم نقصاً ممن يقبل الاتصاف بها - مع اتصافه بنقائضها - فإن الجماد الذي لا يوصف بالبصر ولا العمى ولا الكلام ولا الخرس أعظم نقصاً من الحي الأعمى الأخرس!؟

وإذا عرفت هذا فاعلم: أن من قال: إن الله لا حي ولا ميت ولا متكلم ولا أخرس فقد جعل الله تعالى أنقص من الميت الأخرس، فهذا الرجل قد وقع في أشد مما فر منه حيث جعل الله تعالى مشابهاً بشيء أنقص حالاً من

(١) سورة النحل.

الميت لأن هذا الرجل قد أراد تنزيه الله تعالى ، ولكن وقع في أقبح التشبيه وأوقحه .

حيث أراد أن ينزه الله تعالى عن تشبيه الحيوان الذي يسمع .

فشبه الله تعالى بشيء أحط منزلة من الميت الذي لا يسمع؟!!

فإن هذا تشبيه بالجماادات لا بالحيوانات فلو شبه الله تعالى بالحيوانات . لكان أقل قبحاً وكلاهما قبيح .

والجواب الرابع الذي أشار إليه شيخ الإسلام أن الحيوان الذي يسمع أولى من الجماد الذي لا يسمع فمن قال: إن الله تعالى لا حي ولا ميت بحجة أنه غير قابل للحياة والممات كان هذا تشبيها لله تعالى بالجماد الذي لا يقبل الاتصاف بهذه الصفات وضدها .

وهذا لاشك أنه تشبيه بالجماادات لا بالحيوانات والتشبيه بالجماادات أبطل من التشبيه بالحيوانات .

(٣٠) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

(قالوا: هذا إنما يكون إذا كان قابلاً لذلك والقبول إنما يكون من المتحيز فإذا انتفى الحيز انتفى قبول هذين المتناقضين)^(١) .

الشرح :

أقول: هذا الاعتراض شبيه بالاعتراض السابق من جريه على قاعدة القبول وعدم القبول أي اتصاف المحل بالعدم والملكية .

ولكن ساقه شيخ الإسلام لاعتراض آخر . وحاصل هذا الاعتراض :

(١) التدمرية ص ٤٥ .

أن من ضاهي هؤلاء الجهمية الغلاة في قولهم: إن الله لا حي ولا ميت ولا متكلم ولا أخرس، ومشوا على منوالهم في الجحود والنفي للضدين عن الله ورفع المتناقضين عنه تعالى فقالوا:

إن الله تعالى ليس بداخل العالم ولا خارج العالم ولا متصلاً بالعالم ولا منفصلاً عنه.

فأورد عليهم أهل السنة إشكالاً تقريره: أنتم أيها الماتريدية والأشعرية، قد نفيتم عن الله تعالى الدخول والخروج والاتصال والانفصال وهذا رفع للنقيضين.

وهذا غير ممكن عقلاً؛ فإنه إذا لم يكن داخلياً في العالم كان خارجاً عنه ولا بد من ذلك.

وإذا لم يكن متصلاً بالعالم كان منفصلاً عنه ولا بد من ذلك! فإن نفي أحدهما يستلزم إثبات الآخر إذ لا يجوز نفيهما جميعاً؛ لئلا يلزم رفع النقيضين.

فأجاب هؤلاء الجهمية الماتريدية والأشعرية عن إشكال أهل السنة هذا بقولهم: إن الله تعالى ليس بمتحيز أصلاً، والقبول وعدمه من صفات المتحيز أي كون الشيء داخلياً أو خارجاً أو متصلاً أو منفصلاً لا يتحقق إلا في المتحيز والله غير متحيز فالله تعالى غير قابل للدخول والخروج والاتصال والانفصال.

فلا يرد ذلك الإشكال ألبتة.

فأجاب شيخ الإسلام عن هذا الاعتراض بجوابين:

الجواب الأول بقوله: (فيقال لهم: علمُ الخلق بامتناع الخلو من هذين

النقيضين علم مطلق لا يستثنى منه موجود).

والمعنى أن قولكم: إن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل عنه.

باطل في بداهة عقول الناس؛ فإن علم الناس بهذا البطلان علم مطلق قوي بديهي ضروري عند كل إنسان، فكل إنسان يعلم علماً يقينياً:

أن كل موجود إما أن يكون داخلياً فلا يكون خارجاً وإما أن يكون خارجاً فلا يكون داخلياً، وهكذا في الاتصال والانفصال.

وأما إذا كان لا داخلياً ولا خارجاً، فهذا ليس بشيء موجود وإنما هو معدوم، بل هو ممتنع.

وهذا واضح بالضرورة عند كل إنسان،

الحاصل أن قولكم هذا من أوضح الباطل في بداهة العقول. هذا هو الجواب الأول.

الجواب الثاني:

كم تقولون: إن الله ليس بمتحيز، فليس هو قابلاً لتلك الصفات وضدها فنقول: هذا باطل جداً: لأن المتحيز له معنيان:

الأول: أن يكون الشيء تحيط به الأحياء فهذا الشيء لا شك أنه في

داخل العالم وليس بخارج العالم البتة ومتصل بالعالم وليس منفصلاً عنه؛ لأنه جزء من العالم.

والمعنى الثاني: هو كون الشيء بحيث يكون منحازاً عن العالم أي مبايناً عنه.

فالمتحيز بهذا المعنى لا شك أنه خارج عن هذا العالم وليس بداخل في العالم.

فالله تعالى في الحقيقة متحيز بالمعنى الثاني لا بالمعنى الأول.

وإذا عرفت المعنيين للمتحيّز - نقول: إذا قلت إن الله تعالى ليس بمتحيّز هكذا مطلقاً -

كان معناه أن الله تعالى ليس بداخل العالم ولا خارجه وهذا من أبطل الباطل في بداهة العقول كما سبق
فهؤلاء قصدهم من قولهم:

«ليس بمتحيّز»: أن الله ليس بداخل العالم ولا خارجه ولكنهم قد غيروا العبارة، فالذين لا يعرفون مصطلحات هؤلاء الماتريدية والأشعرية الجهمية، لا يعرفون حقيقة ما قصدوا.

الحاصل: أن قول الماتريدية: إن الله ليس بمتحيّز، أو قولهم: إن الله لا داخل العالم ولا خارجه هو بعينه مثل قول الجهمية الأولى. الغلاة: إن الله لا حي ولا ميت ولا متكلم ولا أخرس.

(٣١) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله:

(فهي متفقة متواطئة من حيث الذات متباينة من جهة الصفات)^(١).

الشرح:

أقول: معناه: أن أسماء الله تعالى: نحو الرحمن الرب الغفور القهار

العليم السميع البصير.

أسماء لها جهتان:

الجهة الأولى: أنها متفقة في الدلالة على ذات الله تعالى، فهي بهذا الاعتبار متواطئة أي مترادفة ومتفقة في الدلالة.

(١) التدمرية ص ٤٨.

فكلها أسماء لمسمى واحد وهو الله تعالى وكلها تطلق على الله تعالى على حد سواء، فهي متواطئة في الدلالة على الله سبحانه.

الجهة الثانية: وهي جهة دلالتها على معانيها الدالة على صفات الله تعالى، فهي بهذا الاعتبار متباينة.

فإن الرحمن يدل على صفة الرحمة والعليم يدل على صفة العلم، ولا شك أن صفة الرحمة غير صفة العلم. فأسماء الله تعالى باعتبار دلالتها على ذات الله تعالى متفقة ومتواطئة، وباعتبار دلالتها على الصفات متباينة ومختلفة.

(٣٢) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله:

(فمن اشتبه عليه وجود الخالق بوجود المخلوقات كلها...)

إلى قوله في ص ٤٩ :

(وجعلوا ما في الأذهان ثابتاً في الأعيان وهذا كله نوع من الاشتباه)^(١).

الشرح:

أقول: يقصد شيخ الإسلام: أن كثيراً ممن يدعي التوحيد والتحقيق والعرفان والعلم قد وصلوا بضلالهم إلى حد اشتبه عليهم وجود الخالق تعالى بوجود المخلوق، فظنوا أن وجود الخلق بعينه وجود الخالق، ومنشأ هذا الظن الفاسد: أن الموجودات كلها تشترك في مسمى الوجود بالمعنى العام.

فالله أيضاً موجود والكون أيضاً موجود واسم الموجود يشمل الخالق والمخلوق فظنوا أن وجود الخالق بعينه هو وجود المخلوق ولم يفرقوا بين وجود الواحد بالعين وبين وجود الواحد بالنوع.

أي هؤلاء لم يعرفوا الفرق بين حكم النوع وبين حكم أفراده، مع أن حكم النوع يختلف عن حكم أفراده فحكم النوع عموم من حيث العموم، وحكم الفرد خصوص من حيث الخصوص، إذ من المعلوم أن حكم الإنسان العام الكلي غير حكم زيد وعمرو وبكر وخالد.

(١) التدمرية ص ٥٠.

إذ لا شك أن الموجودات تشترك في الوجود عاماً ولكن إذا نظرت إلى أفراد تلك الموجودات يختلف وجود كل فرد.

وبهذا الاعتبار يختلف وجود الله تعالى عن وجود المخلوقات.

فالمراد بالواحد بالعين - هو الفرد من أفراد الكلي نحو زيد، والمراد بالواحد بالنوع هو الأمر الكلي العام نحو الإنسان، والحيوان والموجودات.

ثم بين شيخ الإسلام ضلال أشخاص آخرين وهم الذين ظنوا: أن لفظ «الوجود» من قبيل المشترك اللفظي يشترك فيه وجود الخالق ووجود المخلوق على حد سواء.

فزعموا أن الموجودات كلها تشترك في مسمى الوجود بالاشتراك اللفظي، وزعموا أن هذا يستلزم التشبيه والتركيب فخالف هؤلاء إجماع العقلاء في قولهم: إن الوجود ينقسم إلى قديم ومحدث مع أن القديم والمحدث ليسا سواء في الوجود البتة وطائفة ظنت أنه إذا كانت الموجودات تشترك في مسمى الوجود لزم أن يكون في الخارج موجود مشترك فيه، فزعموا أنه توجد في الخارج عن الأذهان كليات مطلقة عامة نحو وجود مطلق وحيوان مطلق وإنسان مطلق، فخالف هؤلاء الحس والعقل والشرع جميعاً، لأن العقلاء متفقون على أن الأمور العامة والكليات المطلقة أمور ذهنية وجودها ذهني ولا يُوجد في الخارج البتة، وإنما توجد في الخارج أفراد تلك الأمور العامة، فالأمور العامة لا توجد إلا في الذهن ولكن الأفراد بالخصوص توجد في الخارج.

(٣٣) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله:

(ولهذا تبين أن التشابه يكون في الألفاظ المتواطئة كما يكون في الألفاظ المشتركة التي ليست بمتواطئة)^(١).

الشرح:

أقول: هذا المبحث المتعلق بالمبحث السابق الذي كان سبباً لضلال كثير من الناس فالحاصل: أن شيخ الإسلام يقول:

إن الألفاظ نوعان: نوع: ألفاظ متواطئة وهي كليات عامة تصدق وتطلق على أفراد على سبيل الموافقة والمواطأة على حد سواء. كالإنسان الكلي العام، فإن الإنسان يطلق على زيد وعمر وبكر على سبيل المواطأة والموافقة على حد سواء.

ونوع ألفاظ مشتركة نحو لفظ «العين»، فلفظ «العين» يطلق على عين الشمس وعلى عين الركبة وعلى الذهب وعلى عين الرأس وعلى الماء النابع من الأرض وعلى ذات الشيء.

ولكن لا على سبيل المواطأة والموافقة، بل على سبيل الاشتراك والمبادلة.

لأن عين الشمس وعين الرأس وعين الركبة والذهب وذات الشيء والماء النابع من الأرض ليست من أفراد لفظ «العين».

وإنما العرب قد وضعوا لفظ «العين» لكل هذه المعاني على سبيل الاستقلال والبديلية والاشتراك.

(١) التدمرية ص ٧٠.

(٣٤) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله:

(وقيل له أيضاً: أنت في تقابل السلب والإيجاب)^(١).

الشرح:

أقول: لقد سبق أن شرحنا: أنواع التقابل كما هي في كتب المنطق:

وأعيدها هنا للإيضاح: فأقول: التقابل أنواع:

أ - نوع يسمى تقابل الإيجاب والسلب أو تقابل النقيضين وهذا التقابل لا يتحقق إلا بين الشيئين اللذين لا يجوز رفعهما ولا يجوز جمعها ويكون أحدهما وجودياً والآخر عديمياً، أي يكون أحدهما إيجابياً والآخر سلبياً نحو الإنسان واللا إنسان. والداخل واللا داخل والخارج واللا خارج.

ب - ونوع يسمى تقابل التضاد.

وهذا التقابل يكون في شيئين وجوديين بحيث لا يجوز الجمع بينهما ولكن يجوز رفعهما نحو الحجر والشجر، والإنسان والحصار والسماء والأرض ويسمى المتضادين أيضاً.

ج - تقابل التضائف: وهو لا يتحقق إلا في شيئين وجوديين ولكن أحدهما لا يتصور بدون الآخر.

نحو الأب والابن، فالأب لا يكون أباً إلا إذا كان له ابن، وكذا الابن لا يكون ابناً إلا إذا كان له أب.

(١) التدمرية ص ٧١.

د - تقابل العدم والملكة:

وهذا التقابل لا يتحقق إلا في شيئين أحدهما وجودي وهو الملكة أي أمر محبوب وصفة كمال والثاني عدمي أي أمر غير محبوب وصفة نقص نحو البصر والعمى؛

ويكون محل الوجودي صالحاً للعدمي وبالعكس أيضاً.

فالبصر ملكة وصفة كمال وهو شيء وجودي والعمى صفة نقص وهو شيء عدمي، ومحل الوجودي - وهو الرجل البصير - صالح للعمى لأنه يمكن أن يصير الرجل البصير أعمى، وكذلك بالعكس، لأنه يمكن أن يصير الرجل الأعمى بصيراً.

(٣٥) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله:

(الوجه الثالث... إلخ) (١).

الشرح:

أقول: حاصل هذا الكلام: أن المتقابلين إن كانا وجوديين أو كانا سلبيين (عدميين) أو كان أحدهما وجودياً والآخر سلبياً (عدمياً)

فإن كانا وجوديين فإما أن يمكن خلو المحل منهما أم لا.

فهما ضدان: نحو البياض والسواد، والحجر والشجر لأنه يجوز أن يكون هذا اللون لا أبيض ولا أسود بل يكون أحمر ويكون هذا الشيء لا حجراً ولا شجراً بل يكون إنساناً.

(١) التدمرية.

وإن لم يمكن خلو المحل منهما، بل كانا بحيث لا يجوز اجتماعهما معاً، ولا ينفيهما معاً نقيضان عند أهل اللغة وأهل السنة، وإن كانا وجوديين: كالوجود والإمكان والحدوث والقدم والدخول والخروج والاتصال والانفصال والمباينة والمماسة فهذه الأمور وإن كانت وجودية إيجابية ثبوتية ولكن لا يمكن رفعهما معاً ولا إثباتهما معاً كالنقيضين عند المناطقة والمتكلمين والجهمية.

وإن كانا وجوديين أيضاً ولكن كان تصور أحدهما موقوفاً بتصور الآخر.

فهما متضائفان نحو الابن والأب

وإن كانا سلبيين: نحو اللاإنسان واللاحجر وهذا النوع لا تسمية له عندهم ولكن قد يكون بينهما تصادقا.

نحو الكتاب فالكتاب لا إنسان ولا حجر.

وقد لا يكون ذلك، نحو الإنسان فإنه لا يقال له: هذا لا إنسان ولا حجر. بل يقال: إنسان ولا حجر، والحجر لا يقال له: هذا لا إنسان ولا حجر. بل يقال: حجر ولا إنسان.

وإما أن يكون أحدهما وجودياً والآخر سلبياً، بحيث لا يجتمعان ولا يرتفعان، فهما نقيضان أيضاً: نحو الإنسان واللاإنسان.

(٣٦) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله:

(الوجه السادس... إلخ)^(١).

(١) التدمرية ص ٨٣.

الشرح:

قصد شيخ الإسلام: أنه لا بد في باب اتصاف الله تعالى أن نعلم أن ثبوت الصفات له تعالى ممكن بالإمكان الخارجي أي ليس ذلك مجرد الإمكان الذهني فقط، بل يكون من الأمور الممكنة الواقعة في الخارج.

لأن إمكان الوصف لأي شيء لا يعلم إلا بثلاثة طرق:

١ - إما أن يوجد ذلك الوصف لهذا الشيء في الخارج الواقع.

٢ - أو أن يوجد ذلك الوصف لنظير ذلك الشيء في الخارج الواقع.

٣ - أو أن يجيء ذلك الوصف لما هو أولى، والآخر مثاله:

الكتابة لزيد، فوصف زيد بالكتابة، فهنا ثلاث مراتب:

١ - أن وصف زيد بالكتابة ثابت في الواقع لأن زيدا موصوف بالكتابة في الخارج.

٢ - والمرتبة الثانية ثبوت ذلك الوصف لعمر، فإن عمر من جنس زيد فإذا ثبتت الكتابة لزيد فعمر يجوز اتصافه بالكتابة أيضاً.

٣ - أن يوصف بذلك الوصف شيء آخر ولكنه أولى بذلك الوصف.

مثال ذلك صفة الكلام في الإنسان صفة كمال فإذا ثبت ذلك الوصف لمن هو أدنى، فإثباتها لمن هو فوق أولى وذلك بالأدلة العقلية.

الحاصل: أن شيخ الإسلام يقول: إن صفة الكلام صفة خارجية توجد في الخارج عند الموصوفين بها. وذلك أن زيدا موصوف بهذه الصفة فعلمنا اتصافه بها لأجل المشاهدة، وكذا نرى أن عمر أو بكراً أو خالداً موصوفون بذلك، فزيد أيضاً يتصف بذلك لأنه ممكن لأن زيدا من جنس عمر وكذا إذا نظرنا أن الطفل يتصف بهذا الوصف ويتكلم فالكبير يتصف بهذه الصفة بالطريق الأولى، فالإنسان إذا اتصف بصفة كمال فالله أولى أن يتصف بها؛

وهذا البرهان يسمى بقياس الأولي عند شيخ الإسلام؛ كما يسمى بدلالة النص عند الأصوليين؛

ومثال ذلك: أن الله تعالى نهى عن «الأف» للوالدين؛ فالنهى عن شتمهما وضربهما بالطريق الأولي.

(٣٧) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله:

(من التوحيد هو شهود هذا التوحيد . . إذا غاب العارف بموجوده عن وجوده . . .)^(١).

الشرح:

أقول: من مصطلحات الصوفية: القول بوحدة الشهود: وفهم ذلك يتوقف على فهم وحدة الوجود.

فأقول: كثير من الصوفية يعتقدون عقيدة وحدة الوجود،

ووحدة الوجود أن يعتقد أنه لا موجود إلا الله تعالى فليس هناك موجود غير الله فكل شيء هو الله . فالله عين الكون وعين الشمس والقمر والجبال ونحوها . أما وحدة الشهود: فهي أن يعتقد الإنسان أن هناك أشياء موجودة غير الله تعالى .

ولكنه لقوة فثائه في الله تعالى وشدة عقيدته في ربوبية الله تعالى وعدم التفاته إلى غير الله تعالى - لا يشاهد إلا الله تعالى مع اعتقاده أنه توجد أشياء غير الله تعالى ولكنه لشدة تعلقه بالله لا يشاهد إلا الله تعالى وذلك كقوة شعاع الشمس فإن النجوم لا تشاهد عند شعاع الشمس بالنهار مع أنها موجودة .

فلقوة شعاع وجود الرب تعالى لا يرى هذا الرجل ، ولا يشاهد إلا الله تعالى مع اعتقاده أن هناك أشياء موجودة غير الله تعالى فلقوة تعلقه بالله في زعمه لا يلتفت ولا يرى لا زوجة ولا زوجاً ولا أكلاً ولا شرباً ولا مالاً فالعارف يعني الصوفي العارف بالله (في زعمهم) إذا غاب بموجوده أي بجسمه هو عن وجوده هو فهو لا يشاهد إلا الله تعالى ولا يرى جسمه وإذا غاب بمشهوده أي ربه [لأنه بشهود له فقط] غاب عن شهوده لغيره .

(١) التدمرية ص ٨٥ .

فهو لا يشاهد غير مشهوده وهو الله وإذا غاب بمعرفه [أي ربه الذي هو معروف لديه] عن معرفته لأشياء أخرى غير الله، فهو لا يعرف شيئاً غير الله تعالى، فإنه حينئذ يدخل في فناء التوحيد الكامل وهو توحيد الربوبية عندهم وهو توحيد كوني.

بحيث يعتقد أن من لم يكن في الأزل فهو فان غير موجود ونحو الأكل والشرب والزوجة والكون لم يكن موجوداً فهو الآن كأنه غير موجود وأن من كان في الأزل، وهو الله فهو باق. لم يزل ولا يزال. أما الأشياء الأخرى والموجودات الأخرى كأنها لا وجود لها أصلاً.

أقول: هذه الفلسفة الصوفية متضمنة للحق والباطل. فأما الحق فهو أن الكون لم يكن موجوداً وسيبقى أيضاً والله كان وسيكون لم يزل ولا يزال موجوداً وأما الباطل فهو الاعتقاد في هذا الكون أنه غير موجود وأنه غير مشهود وأنه غير معروف وأنه لا تعلق لنا بالدنيا والأكل والشرب والزوجة أصلاً.

(٣٨) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -

(أولئك يشبهون المجوس وهؤلاء يشبهون المشركين)^(١).

الشرح:

أقول: يقصد شيخ الإسلام أن الصوفية الملاحدة الحلولية والوجودية الذين جل همهم التوحيد الكوني يزعمون (أن الله حل في الكون، أو الكون هو الله) ويعرضون عن توحيد الإلهية؛ فلا يتقيدون بالشرع ولا يأمرون بأوامر الله ولا ينتهون عن نواهي الله تعالى. فهؤلاء الصوفية شر من القدرية المعتزلة، لأن القدرية يشبهون المجوس، لقول المعتزلة بأن

(١) التلمذية ص ٩٢.

العبد خالق لأفعاله فقالوا بخالقين وتقول المجوس إن خالق الشر شيء غير الله .

فهم أيضا قالوا بخالقين ، ومع ذلك نرى أنهم أهل كتاب ولكن هؤلاء الصوفية يشبهون المشركين الذين يعبدون الأوثان والأصنام ولا كتاب لهم . ولا شك أن المشركين الوثنيين شر من المجوس لأن المجوس يعبدون من أهل الكتاب ، ولذا قرر الفقهاء أن المشركين لا جزية عليهم ولكن المجوس عليهم الجزية . فأنزلوهم منزلة أهل الكتاب وهم لاشك أنهم مشركون ولكن أخف شركا من شرك المشركين الوثنيين الذين يعبدون الأصنام .

(٣٩) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -

(ومن قال إنه يفعل عندها لا بها فقد خالف ما جاء به القرآن)^(١) .

الشرح :

قصد شيخ الإسلام : أن الله تعالى - ولا شك - قد قدر الأشياء وعلمها في الأزل وكل ما يحدث في الكون لا يحدث إلا تحت مشيئته وإرادته وتحت علمه وقدرته ، ولكن الله تعالى ربط المسببات بالأسباب ، فتلك المسببات لا تحدث إلا بتلك الأسباب كما قال : ﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ﴾^(٢) . أي علق إنزال الماء بسبب السحاب ، وقال تعالى : ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾^(٣) فعلق الله تعالى إخراج الثمرات بسبب الماء من المطر والعيون

ولكن زعم قوم أن الله تعالى يحدث الأشياء ويخلق عند هذه الأسباب ولا يخلقها بها .

(١) سورة الأعراف الآية (١٥٧) .

(٢) نفس الآية السابقة .

(٣) التدمرية ص ٩٢ .

وهذا الزعم فاسد باطل مخالف لنصوص الكتاب والسنة،
وصاحب هذا الزعم منكر للقوى التي أودعها الله تعالى في الأسباب،
فهذا المنكر في الحقيقة منكر للمحسوسات فهو مكابر وليس بمناظر.

(٤٠) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -

(وذلك أنه ما من سبب من الأسباب إلا وهو مفتقر إلى سبب آخر في
حصول مسيئه)^(١).

الشرح:

أقول: «السبب» في اللغة عبارة عن الحبل، ويقال لكل شيء يكون
الوصول به إلى شيء آخر: إنه سبب فالسبب ما يتوصل به إلى المقصود،
وهذا المقصود يسمى مسبباً. سواء كان ذلك السبب حبلاً، أو دلواً، أو
سلاحاً أو شيئاً آخر والسبب في الاصطلاح العام (شرعاً وعرفاً):
هو ما يتوقف عليه المقصود.

أي: السبب هو الذي لا يحصل المسبب إلا بوجوده:

كالنصاب: فهو سبب لوجوب الزكاة.

ثم السبب قد يكون تاماً، وهو الذي يكون سبباً وحيداً لوجود المسبب وقد
يكون ناقصاً: وهو الذي يكون سبباً للمسبب ولكن هو وحده لا يكون سبباً لهذا
المسبب؛ بل يكون معه سبب آخر لذلك المسبب، وذلك إذا كان للمسبب سببان لا
يستقل أحدهما دون الآخر، وإذا اجتمعا يكونان سبباً كاملاً كالنصاب وحولان
الحول كلاهما سبب لوجوب الزكاة.

(١) التدمرية ص ٩٢.

الحاصل: أن قصد شيخ الإسلام هو الرد على من جعل الأسباب مستقلة مستغنية في إيجاد المسببات.

فأراد شيخ الإسلام أن يرد على هؤلاء من وجهين:

الأول: أن الأسباب مفتقر بعضها إلى بعض، فما من سبب مستغن عن الآخر؛ وما من سبب إلا وهو مفتقر إلى سبب آخر في حصول مسبيه.

الثاني: أنه لا بد في كون الأسباب أسباباً من عدم المانع، فإذا جاء المانع لا ينفع السبب فلا يوجد المسبب فالنار سبب للاحتراق إذا لم يكن هناك مانع؛ وإلا فلا.

فإن إبراهيم عليه السلام ألقى في النار ولم يحترق، فالنار خلق الله فيها الحرارة لا يحصل الإحراق إلا بها ولا بد من المحل الذي يقبل الاحتراق، وإلا لا يوجد الاحتراق أصلاً، فإن وقع السمندل والياقوت ونحوهما في النار لا يحصل الاحتراق، وقد يطلى الجسم بما يمنع الإحراق فلا يحصل الاحتراق لوجود المانع.

والشمس سبب لوصول شعاعها إلى الأرض بشرط وجود الجسم الذي يقبل انعكاس الشعاع عليه، فإذا حصل حاجز من سحب أو سقف لم يحصل وصول الشعاع إلى التحت.

الحاصل: أنه لا شيء مستقل ويستغني إلا الله تعالى فكل شيء يفتقر إلى الله تعالى والله وحده هو الغني الحميد.

(٤١) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -

(ولهذا من قال: إن الله لا يصدر عنه إلا واحد...^(١))

(١) التدمرية ص ٩٤.

الشرح:

أقول: قصد شيخ الإسلام - الرد على الفلاسفة اليونانيين الكفرة ومن سايرهم من المنتسبين للإسلام كابن سينا وغيره من الملاحدة؛ حيث قالوا: إن الله واحد فلا يصدر عنه إلا واحد وفي هذا القول فسادان: **الفساد الأول:** أنه يدل على أن الله تعالى غير مريد ولا مختار في خلق المخلوقات.

بل هو مضطر مجبور، حيث صدر منه واحد بالاضطرار بدون الاختيار. **الفساد الثاني:** أن هذه القضية كاذبة في نفسها؛ فإنه لا يوجد دليل على أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد، بل الحق والصدق أن الواحد يصدر عنه أشياء كثيرة. كما قال تعالى: ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾^(١)، فعلم أن الله خالق الأزواج، وأن خالق الأزواج واحد، والأزواج كثيرة. فدل ذلك على أن الواحد يخلق أشياء كثيرة. فبطل قولهم: (إن الواحد لا يصدر منه إلا واحد).

(٤٢) قال شيخ الإسلام:

(عارض كالسكر...)

الشرح:

أقول: «السكر»: من خرافات الصوفية، وهو (غيبه بوارد قوي، وهو يعطي الطرب والالتذاد، وهو أقوى من الغيبة، وأتم منها)^(٢).

(١) سورة الذاريات الآية (٤٩).

(٢) التعريفات ١٢٠.

أقول: حاصل هذا التعريف: أن «السكر» حالة من أحوال الصوفية تحصل بسبب وارد قوي يرد على قلب صوفي، إما من مشاهدته لله تعالى - حسب زعمه في كلب أو خنزير أو قرد - وإما لأجل عقيدته أن هذا الكون كله هو الله تعالى أو لأجل دعواه الكاذبة أن وصل في العشق والمحبة إلى حد فقد حواسه وقواه، من شدة الوجد والفسق والمحبة، حتى سكر لا يعي ما يقول ولا يفهم ولا يحس بالكون ولا بالتكليف كأنه مجنون، أو نائم، أو ميت لا حراك له، أو يهذي هذيان المحمومين فيتكلم بكلمات الكفر والارتداد. وهذا كله انحلال وكفر وإلحاد وزندقة أيما زندقة.

ولذلك ترى شيخ الإسلام يرد على هؤلاء الزنادقة بقوله:

(فالأحوال التي يعبر عنها بالاصطلام والفناء والسكر ونحو ذلك - إنما تتضمن عدم الإحساس ببعض الأشياء دون بعض فهي مع ضعف صاحبها توقف تمييزه - لا تنتهي إلى حد يسقط فيه التمييز مطلقاً؛ ومن نفي التمييز في هذا المقام مطلقاً، وعظم هذا المقام - فقط غلط في الحقيقة الكونية والدينية قدراً أو شرعاً وغلط في خلق الله وفي أمره، (وأسقط التكليف)؛ حيث ظن أن وجود هذا (الكون) لا وجود له، (بل كل هذا الكون هو الله، لا موجود إلا الله) إلى آخر كلامه المهم، انظر التدمرية ٩٥.

(٤٣) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -

(ولكن توهمت طائفة أن للحسن والقبح معنى غير هذا...، وقابلتهم طائفة أخرى ظنت أن ما جاء به الشرع من الحسن والقبح يخرج عن هذا...)^(١).

(١) التدمرية ص ٩٤.

الشرح:

أقول: للناس نزاع في أن حسن الأشياء وقبحها عقليان أم شرعيان.
فطائفة ظنت أن القبح والحسن لا يعلمان إلا بالعقل، وطائفة ظنت أن
القبح والحسن لا يعلمان إلا بالشرع.

وكلتا هاتين الطائفتين على غلط.

فأراد شيخ الإسلام أن يبين غلطهما ويبين الحق وهو القول الوسط.
وهو أن حسن الأشياء بمعنى كونها ملائمة للفاعل وقبحها بمعنى كونها
غير ملائمة للفاعل بل منفرة.

أو كون الأشياء مما يحبه الفاعل أو يكرهه أو يتلذذ بها أو يتأذى بها.
فهذا لا شك يعلم تارة بالعقل. كعلمه بأن الطعام يشبع والماء يروي
وتارة يعلم بالشرع. وتارة يعلم بهما جميعاً.

ولكن تفاصيل الحسن وتفاصيل القبح وأن هذا يحبه الله وذاك يبغضه
الله ونحو ذلك لا يعلم إلا بالشرع فقط.

كما قال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا
الْكِتَابَ وَلَا الْإِيمَانَ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا..﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا
يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾^(٢). فدل ذلك على أن تفاصيل حسن الأمور وقبحها لا
يعلم إلا بالوحي الذي هو مبنى الشرع.

(١) سورة الشورى الآية (٥٢).

(٢) سورة سبأ الآية (٥٠).

والعقل لا يدرك تفاصيل هذه الأمور، فحسن الأشياء وقبحها مركوز في الفطر، والعقل مدرك إجمالاً والشرع منك ومرشد بالتفصيل ومبصر ومكمل^(١).

(٤٤) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

(فمن نظر إلى القدر فقط وعظم الفناء في توحيد الربوبية ووقف عند الحقيقة الكونية - لم يميز بين العلم والجهل والصدق والكذب والبر والفجور والعدل والظلم والطاعة والمعصية والهدى والضلال والرشاد والغنى وأولياء الله وأعدائه)^(٢).

الشرح :

أقول : مقصود شيخ الإسلام : أن هناك حقيقتين :

الأولى - حقيقة كونية :

وهي ما خلقه الله تعالى ودبره وأراده ورباه من الخير والشر والتوحيد والشرك والإسلام والكفر والظلمة والنور والعلم والجهل والظلم والعدل والبر والفجور والهدى والضلال وخلق أولياء له أمثال الأنبياء والمرسلين وخلق أولياء للشيطان أمثال فرعون وقارون وأبي جهل وغير ذلك من الأمور الكونية والموجودات الخارجية بقطع النظر عما يحبه الله وشرعه أو يكرهه ولم يشرعه .

والثانية : حقيقة شرعية :

وهي كل ما يحبه الله تعالى ويرضاه وشرعه لعباده وأمرهم به كالتوحيد والإسلام والإيمان والبر والعلم والعدل وجميع أبواب الخير ونحوها :

(١) انظر الصواعق المرسلة ٤/ ١٢٧٧-١٢٧٨ .

(٢) التدمرية ص ٩٥ .

وكل ما يكرهه الله تعالى ويمقتة ويغضب عليه ولم يشرعه لعباده بل نهاهم عنه، كالكفر والشرك والسحر والكذب والزور والبهتان والظلم والغبي والبغي وغيرها من الأمور التي يكرهها الله تعالى. فهذه كلها حقائق شرعية.

ولكن الذين نظروا إلى الكون من حيث إنه كون مخلوق موجود في الخارج يرى في هذا الكون أولياء الله أمثال الأنبياء والمرسلين.

ويرى في هذا الكون أولياء الشيطان أمثال فرعون وقارون وهامان وأبي جهل وغيرهم،

كما يرى في هذا الكون الإسلام والإيمان والتوحيد والصدق والخبر والعلم والهدى والرشاد ومحبة الصالحين.

كذلك يرى في هذا الكون الكفر والشرك والكذب والشرور والجهل والغواية ومحبة الظالمين.

فمن نظر إلى هذا الكون نظرة واحدة كونية خلقية بدون التفريق بين الحلال والحرام وبين الخير والشر وبين الظلم والعدل وبين الإسلام والكفر، وبين التوحيد والشرك وجعل هذه الأمور كلها بمنزلة واحدة، فقد أُلحد وتزندق وخلط الحق بالباطل والكفر بالإسلام وناقض توحيد الألوهية، وإن كان آمن بتوحيد الربوبية بعض الشيء.

الحاصل: أنه لا يكفي أن ينظر الإنسان إلى الكون من حيث إنه كون مخلوق لله تعالى مربوب له.

بل ينظر إليه من حيث إنه كون مخلوق لله تعالى ومن حيث إن في هذا الكون ما يحبه الله تعالى وما يكرهه.

فيحب ما أحبه الله ويكره ما كره الله تعالى شرعاً.

مع إيمانه أن هذه المحبوبات وتلك المكروهات كلها من هذا الكون وكلها من خلق الله تعالى.

فيميز بين كون الشيء كوناً وخلقاً، وبين كونه شرعاً ورضاً وكراهية. فلا يقف عند الحقيقة الكونية؛ بل يوفق بين الحقيقة الكونية والحقيقة الشرعية جميعاً فكثير من الصوفية الحلولية والاتحادية وكثير من الفلاسفة والمتكلمين - قد نظروا إلى الكون من حيث إنه كون، ولم يفرقوا بين الشرع وبين الكون؛ فوقعوا في أنواع من الكفر والإلحاد والزندقة، حيث أحلوا كثيراً من المحرمات بحجة أنها أمور كونية، ولهذا ترى هؤلاء الحلولية والاتحادية، يعتقدون أن جميع الأديان كلها حق وصواب، وأنه لا يوجد باطل في هذا الكون ولا يوجد محرم في هذا الكون فكل ما في هذا الكون حلال وصواب وحق.

فأحلوا جميع الفروج وأن جميع ملل الكفار والوثنية كلها حق وصواب لأنهم لم ينظروا إلى الكون بنظر الشرع(*).

(٤٥) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

(فالأحوال التي يعبر عنها بالاصطلام والفناء والسكر ونحو ذلك^(١)).

الشرح :

أقول : «الأحوال» جمع «الحال».

والحال، لغة، غير الحال في اصطلاح أهل الكلام، وهو غير الحال

(*) وفي ذلك يقول إمامهم المحدث الزنديق ابن عربي الصوفي الاتحادي الإلحادي (٦٣٨هـ):

(*) الأكل قول في الوجود كلامه * سواء علينا نشره أو نظامه *

(*) عقد الخلاق في الإله عقائد * وأنا شهدت جميع ما اعتقدوه *

انظر فتوحاته المكية ١٤١/٤، ١٣٢/٣.

(١) انظر تعريفات الجرجاني ٨١. واصطلاحات القاشاني ٥٧.

في اصطلاح الصوفية، وهو غير الحال في اصطلاح النحاة؛ والمراد من الحال ههنا «الحال» في اصطلاح الصوفية فالحال في اصطلاح الصوفية: (مايرد على القلب لمحض الموهبة من غير تعمد ولا اجتلاب ولا اكتساب من طرب أو حزن أو قبض أو بسط)^(١).

قلت: الأحوال من خرافات الصوفية وترهاتهم.

ولكن المؤمن إذا سمع آيات الجهاد والإنفاق والتوحيد والرد على المشركين وأهل البدع، وفرح بذلك وسر وزاد إيمانه مع إيمانه السابق فهذا من الأحوال الطيبة.

وإذا عمل عملاً صالحاً وفرح بذلك، فهذا من الأحوال الطيبة، وإذا عمل سيئة وحزن عليها وندم وتاب إلى الله تعالى فهذا من الأحوال الطيبة، وأما إذا خالف الكتاب والسنة وعمل السيئة ولم يحزن بل بعكس ذلك فرح بالعشق والفجور فهذا من الأحوال السيئة الفسقية.

وإذا سمع آيات الجنة واشتاق إليها فهذا من الأحوال الحسنة الطيبة وإذا سمع آيات التهيب والنار، خاف ورق قلبه وخشع وبكى فهذا من الأحوال الحسنة، ولكن إذا سمع آيات الجنة والنار، ولم يترقق قلبه بل زاد قسوة على قسوة، فهذا من الأحوال السيئة.

أما «الاصطلام» فهو اصطلاح الصوفية: (وجد غامر يرد على العقول فيسلبها ويستلبها بقوة سلطانه وقهره)^(٢).

وأما «الفناء» في اصطلاح الصوفية ما قاله الجرجاني الحنفي (٨١٦هـ):

(١) التدمرية ص ٩٥.

(٢) انظر المع لسراج الطوسي ص ٤٥٠، كما في معجم ألفاظ الصوفية ص ٤٩.

(الفناء سقوط الأوصاف المذمومة؛ كما أن البقاء وجود الأوصاف المحمودة. والفناء فناءان: أحدهما: ماذكرنا، وهو بكثرة الرياضة.

والثاني: عدم الإحساس بعالم الملكوت، وهو بالاستغراق في عظمة الباري، ومشاهدة الحق^(١).

أقول: فناء الصوفية هذيان وإلحاد وزندقة وانحلال.

لأن سقوط الأوصاف المذمومة ووجود الأوصاف المحمودة، لا يمكن إلا بتقوى الله تعالى واجتناب نواهيه، وإيثار أوامره، وعبادته سبحانه وتعالى، واتباع سنة نبيه محمد ﷺ مع الإخلاص التام فمثل هذا يسمى تقوى وإسلاماً، وإيماناً وصلاحاً، ورشداً، وتوحيداً، ولا يسمى فناءً.

وأما قولهم في معنى «الفناء»: «أنه عدم الإحساس بالكون، ومشاهدة الحق» فهذا انحلال وكفر صريح وارتداد قبيح؛ لأن هذه عقيدة وحدة الوجود، فأصحاب وحدة الوجود لا يرون شيئاً من هذا الكون؛ بل يعتقدون: أن الكون والجبال والسماء والأرض والجبال والشجر والمداد والبحر والبر والناكح والمنكوح كل هذا هو الله بعينه، وأنهم يشاهدون الحق ويرون الله تعالى ولا يرون شيئاً آخر من الكون فكل ما يرونه من الكلب والخنزير والقرد وغيرها، فهو الله عندهم، فهم لا يرون - حسب زعمهم - إلا الله^(*).

(١) التعريفات ١٦٩.

(*) كما هذا بذلك ابن عربي الملحد الاتحادي (٦٣٨) هـ:

(*) فكان الحق أكواناً * وكنا نحن أعياناً *

انظر فتوحاته ٤٥/٢، ٧٠.

ولذا قال الإمام الأمير اليماني في بيان زندقته وخبط عقيدته الوجودية:

(*) مسماء كل الكائنات جميعها * من الكلب والخنزير والقرد والفهد *

ديوان الصنعاني ١٣١.

سيرد شيخ الإسلام على هذه العقيدة بعد قليل، ويبين المفهوم الصحيح الشرعي للفناء.

وأما «السكر»: فقد فسره الجرجاني، (٨١٦) فقال: (وعند أهل الحق [أي الصوفية]:

«السكر»: هو غيبة بوارد قوي، وهو يعطي الطرب والالتذاذ، وهو أقوى من الغيبة، وأتم منها»^(١).

قلت: هذه كلها من شطحات الصوفية نعوذ بالله منها.

(٤٦) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -:

(فصل في أقسام الفناء...)^(٢).

الشرح:

أقول: قصد شيخ الإسلام ههنا هو الرد على الصوفية الحلولية

والاتحادية بذكر معاني الفناء.

حيث ذكر للفناء معنى صحيحاً يوافق شرع الله تعالى وذكر للفناء معنيين باطلين يصادمان شرع الله تعالى:

فقال رحمه الله تعالى ما حاصله:

«الفناء» على ثلاثة أقسام حسب اصطلاح الشرع واصطلاح الصوفية.

الأول: هو الفناء الديني الشرعي المطلوب الواجب الذي جاءت به الرسل والشرائع وأنزلت به الكتب السماوية.

(١) التعريفات (١٢٠).

(٢) التدمرية ص ٩٥.

وهو أن يفنى المرء عما نهى الله عنه بفعل ما أمره الله به؛
فيفنى عن عبادة غير الله بعبادة الله تعالى، وعن طاعة غير الله تعالى
بطاعته وطاعة رسوله ﷺ وبحلاله عن حرامه.

وهذا الفناء يسمى في الشرع: التقوى والبر والإحسان والإسلام
والإيمان، والتوحيد، والسنة، وهو الطريقة السلفية.

وهو فناء مطلوب شرعاً مأمور به في الإسلام.

الثاني: الفناء عن رؤية ما سوى الله وشهود غير الله.

فيفنى المرء بمعبوده عن عبادته، أي يشتغل بالله إلى حد يترك عبادته،
ويترك التكاليف الشرعية بحيث يغيب عن الكون حتى يغيب عن نفسه إلى
أن لا يشاهد إلا الله.

وهذا النوع من الفناء قد يقع فيه كثير من الصوفية الحلولية وأصحاب
وحدة الشهود [أي الذين لا يشاهدون إلا الله الواحد، ولا يشاهدون الكون
مع اعتقادهم أن الكون موجوداً].

وهذا النوع من الفناء إلحاد وزندقة؛

لأن هذا الفناء لم يعرف للأنبياء والمرسلين ولا السابقين الأولين من
المهاجرين والأنصار.

الثالث: الفناء عن وجود سوى الله تعالى:

بحيث يعتقد أن الوجود واحد وأن الموجود واحد وأن الكون هو الله
بعينه، وأن الله هو الكلب والخنزير والفهد والقرد والحرياء والناكح
والمنكوح والعاشق والمعشوق والواطئ والموطوء وهذا الفناء قد يقع فيه
الصوفية الوجودية من الملاحدة والزنادقة أمثال الحلاج وابن عربي وابن
سبعين وابن الفارض وعبد الكريم الجيلي وهذا الفناء أعظم كفر على

الإطلاق وأكبر زندقة وأقبح إلحاد وهؤلاء أشد كفراً من اليهود والنصارى^(*).

(٤٧) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

(وهو أن يفنى عن شهود ما سوى الله)^(١).

الشرح :

أي هذا النوع الثاني من الفناء :

هو أن يفنى المرء عن رؤية ما سوى الله فلا يشاهد غير الله بل لا يشاهد إلا الله ؛ مع اعتقاد أن غير الله موجود، ولكنه لا يشاهد إلا الله، وذلك كاعتقاد الناس أن النجوم موجودة في النهار ولكنهم لا يشاهدون النجوم لأجل شعاع الشمس فهؤلاء أيضاً لا يشاهدون الكون لأجل قوة شعاع نور الله تعالى (حسب زعمهم الفاسد) وهو فناء أصحاب وحدة الشهود من الصوفية الحلولية.

(٤٨) (قال) شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

(فهو الفناء عن وجود سوى)^(٢).

الشرح :

أي النوع الثالث من الفناء هو فناء المرء عن وجود سوى الله، بحيث

(*) وفي ذلك يقول الإمام الصنعاني الأمير اليماني (١١٤٢هـ) :

(*) وأكثر أهل الأرض من قال : إنه * إلهه ، وأن الله [جل عن الند] - *

* مسماه كل الكائنات جميعها * من الكلب والخنزير والفرد والفهد *

ديوان الصنعاني ١٣١ .

(١) التدمرية ص ٩٦ .

(٢) التدمرية ص ٥٦ .

يعتقد أنه لا موجود إلا الله وأن الكون كله هو الله، وأن الله هو الكلب
والخنزير والفهد والقرد بأعيانها.

فهذا الفناء فناء أصحاب وحدة الوجود وهم الوجودية الاتحادية الذين
هم أشد كفراً من الحلولية وهو مذهب الغلاة من الصوفية كابن عربي
وغیره.

الأسئلة والأجوبة المرضية
على الرسالة القدرية

س١ : ما هو موضوع هذه الرسالة وما سبب تأليفها؟

ج - موضوع هذه الرسالة البحث في أصلين عظيمين هما :

الأول في التوحيد والصفات والثاني في الشرع والقدر .

وسبب تأليفها إجابة طلب الذين سألوا الشيخ من بلدة تدمر في الشام أن يكتب لهم مضمون ما سمعوه في بعض المجالس من الكلام عن هذين الأصلين اللذين هما من أعظم ما يجب على العبد معرفته .

س٢ : ما هي العلل التي ذكرها الشيخ لوجوب البحث في هذين الأصلين؟

ج - هي أربعة علل :

١ - ميسس الحاجة إلى تحقيق هذين الأصلين .

٢ - كثرة الاضطرابات فيهما .

٣ - أن أهل العلم والفطرة والبيان والإرادة لا بد أن يخطر لهم في ذلك من الأقوال والخواطر ما يحتاجون معه إلى بيان الهدى من الضلال لكثرة من خاض في ذلك بالحق تارة وبالباطل تارة أخرى .

٤ - ما يعتري القلوب في ذلك من الشبه التي توقعها في أنواع الضلالات .

س٣ : إلى كم نوع يقسم التوحيد وهل توحيد الأسماء والصفات يعد من باب الخير . . أو من باب الطلب؟

ج - أنواع التوحيد اثنان : الأول : توحيد في المعرفة والإثبات ويدخل فيه توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات . والثاني : توحيد القصد والطلب وهو توحيد الألوهية . .

وتوحيد الأسماء والصفات من باب الخبر الدائر بين النفي والإثبات والكلام في الشرع والقدر هو من باب الطلب والإرادة الدائر بين الإرادة والبغض نفياً وإثباتاً وبين المحبة والكراهية.

س ٤ : ما الفرق بين الخبر والطلب؟ وما هي أنواع التوحيد الطلبي؟

ج - من الفرق بينهما:

١ - الخبر: يحتمل الصدق والكذب لذاته أي بقطع النظر عن قائله وأما الطلب: فهو طلب فعل أو ترك ويكون بالأمر والنهي.

٢ - أن الخبر يدور بين النفي والإثبات أما الطلب فيدور بين الإرادة والمحبة.

٣ - الخبر لا يدخله النسخ بخلاف الإنشاء (الطلب) فيمكن أن يدخله النسخ.

وأما التوحيد الطلبي فينقسم إلى قسمين:

١ - مطلوب مراد كالتوحيد وسائر الطاعات وهذا مثبت.

٢ - ممنوع مبغض كالشرك وسائر المعاصي وهذا منفي.

س ٥ : ما هو الواجب على العبد المكلف فيما يتعلق بهذين الأصلين؟

ج - يجب على العبد إثبات ما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله (ﷺ) من صفات الكمال ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله (ﷺ) من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

كما يجب عليه في أحكامه من أن يثبت خلقه وأمره فيؤمن بخلق المتضمن لكمال قدرته وعموم مشيئته ويثبت أمره المتضمن ببيان ما يحبه الله ويرضاه من القول والعمل ويؤمن بشرعه وقدره إيماناً خالياً من الزلل.

س٦: ما هو المقصود بسورتي الإخلاص، وما السبب في هذه التسمية، وكيف دلنا على أنواع التوحيد؟ وضح ذلك.

ج - المراد بسورتي الإخلاص هما: قل هو الله أحد، قل يا أيها الكافرون ووجه التسمية في الأولى لأنها أخلصت في وصفه تعالى نفيا وإثباتا. والثانية لأنها أخلصت في عبادة الله ونفي عبادة ما سواه.

وقل هو الله أحد تضمنت التوحيد القولي نصا (وهو توحيد الربوبية).

والأسماء والصفات كما دلت على التوحيد العملي لزوما (وهو توحيد الألوهية).

وسورة الكافرون دلت على التوحيد العملي نصا والتوحيد القولي (تضمنا)^(١).

س٧: اذكر منهج الرسل في صفات الله نفيا وإثباتا وشرح قوله تعالى: هل تعلم له سميا؟

ج - طريقة الرسل أنهم يثبتون لله الصفات على وجه التفصيل وينفون عنه ما لا يصح له من التشبيه والتمثيل على وجه الإجمال على طريقة قوله تعالى: «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير»^(٢) وقوله: «هل تعلم له سميا»^(٣) قال أهل اللغة هل تعلم له نظيراً

(١) الدلالة الالتزامية: دلالة اللفظ على لازم معناه كدلالة العلم على الحي، لأن الحياة لازمة للعلم، ودلالة توحيد الربوبية على توحيد الألوهية. والدلالة التضمنية دلالة اللفظ على جزئه، كدلالة توحيد الألوهية على توحيد الربوبية. وراجع لمعرفة هذه الدلالات تعريفات الجرجاني ١٤٠.

(٢) الشورى: ١١.

(٣) مريم: ٦٥.

يستحق مثل اسمه^(١). وقال ابن عباس سميا أي مثلاً أو شبيهاً^(٢)
ويقال مسامياً يساميه.

س ٨: أوضح بالتفصيل مع ذكر السبب هل قوله تعالى: (لم يلد ولم
يولد ولم يكن له كفوا أحد) من النفي المفصل أو المجمل.

ج - قوله لم يلد ولم يولد نفي مفصل وورد ذلك لسببين:

١ - أن هذه الصفة نسبتها إلى الله اليهود والمشركون فنفي الله
تعالى بنفيها خاصة لأجل ذلك.

٢ - لأنها صفة كمال في المخلوق فنفي خشية أن يتوهم إنسان
أن الله متصف بتلك الصفة، وذلك لأن كل كمال في
المخلوق فالله أولى أن يتصف به، وقوله (ولم يكن له كفوا
أحد) من النفي المجمل.

س ٩: اذكر ثلاث آيات تدل على إثبات مفصل ونفي مجمل وبين وجه
الاستشهاد فيها؟

ج - من الإثبات المفصل قوله تعالى: «هو الحي القيوم»^(٣) وقوله
تعالى: «قل هو الله أحد الله الصمد»^(٤). وقوله تعالى: «وهو
العليم الحكيم»^(٥)، ومن النفي المجمل قوله تعالى: «ليس كمثله
شيء»^(٦)، وقوله: «هل تعلم له سمياً»^(٧)، وقوله: «ولم يكن له

(١) انظر مختار الصحاح ١٣٣، ترتيب القاموس ٦٢٢.

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره ٣٦١/٨-٣٦٢.

(٣) البقرة: ٢٥٥.

(٤) الإخلاص: ١-٢.

(٥) التحريم: ٢.

(٦) الشورى: ١١.

(٧) مريم: ٦٥.

كفوا أحد^(١). وقد يأتي الاثبات مجملًا كقوله تعالى: «ولله
الأسماء الحسنى»^(٢)، كما يأتي النفي مفصلاً كقوله تعالى:
«ما اتخذ صاحبة ولا ولدا»^(٣).

س ١٠: قال تعالى: (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم
كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) [البقرة الآية: ١٦٥].
ما المقصود بالمحبة هنا؟ وعدد أقسامها وما حكم كل قسم؟

ج - هذه الآية دلت على ذم الكفار في اتخاذهم الأنداد والنظراء
ومساواتهم بالتعظيم لهم مع الله وأثنى على المؤمنين والمراد
بالمحبة هنا المحبة الشركية المستلزمة للخوف والتعظيم وهذه
صرفها لغير الله شرك ينافي التوحيد بالكلية وأقسام المحبة خمسة
ترجع إلى ثلاثة هي:

١ - محبة طبيعية وهي ميل الإنسان إلى ما يلائمه كمحبة المال
والولد ونحو ذلك وهذه لا تحرم إلا إذا ألهت عن طاعة
الله.

٢ - محبة شرعية يدخل فيها محبة الله ومحبة ما يحبه الله.
ومحبة في الله كمحبة أوليائه ومحبة عباده الصالحين
وحكمها فرض ولا تكفي محبة الله لأن المشركين يحبون
الله بل لا بد من محبة ما يحبه الله.

٣ - محبة شركية وهي محبة مع الله وهي حرام.

(١) الإخلاص: ٤.

(٢) الأعراف: ١٨٠.

(٣) الجن: ٣.

س ١١ : اذكر ثلاث آيات تدل بمنطوقها على صفات كمال وبالتضمن على نفي صفات النقص؟

ج - قال تعالى : (والله على كل شيء قدير)^(١) دلت بمنطوقها على إثبات صفة الكمال (القدرة) وبالتضمن على نفي صفة النقص . وهي العجز .

قال تعالى : (وتوكل على الحي الذي لا يموت)^(٢) دلت بمنطوقها على إثبات صفة الحياة وبالتضمن على نفي الموت .
قال تعالى : (والله بكل شيء عليم)^(٣) دلت بمنطوقها على إثبات صفة العلم وبالتضمن على نفي الجهل .

س ١٢ : قال تعالى : (الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم)^(٤) ما وجه كون هذه الآية أعظم آية في كتاب الله؟ وما الفرق بين السنة والنوم؟ وضح معنى القيوم عند السلف وعند النفاة وبين نوع النفي فيها؟

ج - آية الكرسي أعظم آية لاشتمالها على كثير من الأسماء والصفات مما لم يشتمل عليه غيرها ، والفرق بين السنة والنوم أن السنة هي النوم الخفيف والمراد بها النعاس وهو ما يكون في الرأس فإذا وصل إلى القلب صار نوما . والقيوم عند السلف هو القائم على كل شيء^(٥) الذي لا يحتاج إلى أحد والمقيم لغيره وعند الخلف

(١) البقرة : ٢٨٤ .

(٢) الفرقان : ٥٨ .

(٣) البقرة : ٢٨٤ .

(٤) البقرة : ٢٥٥ .

(٥) تفسير ابن جرير ٧/٣ .

هو الذي لا يتحرك. قاصدين بذلك نفي المجيء والتزول والإتيان
ونوع النفي في الآية من النفي المفصل.

س ١٣: ما المقصود بمن زاغ عن طريق الرسل في صفات الله وما مذهبهم
في ذلك وما الذي يستلزمه مذهبهم من الباطل ولماذا؟

ج - المراد بمن زاغ عن طريق الرسل هو من حاد عن طريقهم وسبيلهم
من الكفار والمشركين والذين أوتوا الكتاب ومن دخل في هؤلاء
من الصابئين والفلاسفة والجهمية والقرامطة والباطنية ونحوهم.
ومذهبهم في الصفات ضد مذهب السلف يصفونه بالصفات السلبية على
وجه التفصيل فيقولون ليس له وجه ولا يغضب ولا ينزل ونحو ذلك.
ولا يثبتون إلا وجوداً مطلقاً لا حقيقة له عند التحصيل وإنما يرجع إلى
وجود في الأذهان يمتنع تحققه في الأعيان ومعنى هذا أن سلب الصفات
عن الله غايته ونهايته أن الله غير موجود أصلاً لأن الموجود المطلوب
وهو المجرد عن الصفات لا حقيقة له إلا في الذهن ولا وجود له في
الخارج لأن الذات لا بد لها من صفة وقد نفوا الصفة فانتفت الذات
وهذا مذهب باطل يستلزم التعطيل والتمثيل بالمتنوعات والمعدومات
والجمادات.. ويعطلون الأسماء والصفات تعطيلاً يستلزم نفي الذات.

س ١٤: ما هما النقيضان؟ وهل يمكن سلبهما عن الله؟ وما الذي حمل
القرامطة على ذلك؟ وما نتيجة ذلك؟ وكيف ترد عليهم؟

ج - النقيضان^(١): هما اللذان لا يجتمعان في آن واحد بل يلزم من

(١) النقيضان عند المتكلمين والمناطقة: هما الأمران اللذان يكون أحدهما وجودياً والآخر عدمياً ولا
يجتمعان ولا يرتفعان، كالإنسان، واللائسان. انظر التعريفات ٢٥٤، ٤٥٥. ولكن الصواب
مأقاله شيخ الإسلام: من أنهما شيئان لا يجتمعان ولا يرتفعان سواء كانا وجوديين كالحياء والموت
أم لا. انظر درة التعارض ١٢٣/٦، ٢٧١-٢٧٢.

ثبوت أحدهما عدم الآخر ومن نفي أحدهما ثبوت الآخر كالوجود والعدم والحياة والموت والعلم والجهل ولا يمكن سلبهما عن الله تعالى فهما أمران متقابلان أحدهما وجودي والآخر: عدمي وهو عدم ذلك الوجود عما من شأنه أن يتصف به كالصحة والبصر.

أما القرامطة والجهمية وغلاتهم ومن نحا نحوهم فيسلبون عنه النقيضين فيقولون لا موجود ولا معدوم ولا حي ولا ميت ولا عالم ولا جاهل والذي حملهم على هذا ظنهم الفاسد أنهم إذا وصفوه بالنفي شبهوه بالمعدومات وإذا وصفوه بالاثبات شبهوه بالموجودات فسلبوه النقيضين ونتيجة ذلك أنهم وقعوا في شر مما فروا منه فإنهم شبهوه بالمتنوعات ويرد عليهم مما علم بالاضطرار أن الموجود لا بد له من موجد واجب بذاته غني عما سواه، قديم أزلي لا يجوز عليه الحدوث ولا العدم فوصفوه بصفات الممتنع فضلا عن الوجوب أو الوجود.

س ١٥: تكلم عن مذهب الفلاسفة واتباعهم في شأن صفات الله وما غاية قولهم. وكيف ترد عليهم ثم وضع مذهبهم في كل صفة؟

ج - مذهب الفلاسفة واتباعهم كالباطنية الشيعة وباطنية الصوفية. أنهم يصفون الله بالسلب^(١) مثل قولهم إن الله ليس بجسم ولا عرض كما يصفونه بالإضافات مثل قولهم إن الله مبدأ الكائنات وعلة الموجودات وهي الأمور المتضافات التي لا يعقل الواحد منها إلا بتعقل متعلقه^(٢) دون صفات الاثبات كالحياة والعلم ونحوهما.

(١) السلب جمع سلب بمعنى مسلوب وهو الأمر المنفى.

(٢) لأنك لا يمكن لك أن تتعقل المبدأ حتى تتعقل الكائنات، فمبدأ الكائنات من الصفات المتضافات، فالصفة المتضافات التي يتوقف تعقلها بتعقل المضاف إليه.

وغاية قولهم أنهم جعلوه سبحانه هو الموجود المطلق أي المجرد عن الصفات بشرط الإطلاق أي جعلوا وجوده سبحانه بحيث تُسلب عنه كل صفة ثبوتية وسلبية. كما يقول بعضهم ويرد عليهم مما علم بصريح العقل أن هذا لا يكون إلا في الذهن لا فيما خرج عنه إلى الوجود أي من سلب عنه الصفات الثبوتية والعدمية فلا وجود له في الواقع والخارج. وإنما يتصوره الذهن فقط ومذهبهم في كل صفة أنهم جعلوا الصفة عين الموصوف فجعلوا العلم عين العالم مكابرة للقضايا البديهية وجعلوا هذه الصفة هي الأخرى فالعلم هو القدرة أي ما لم يميزوا بين العلم والقدرة والمشئة جحدا للعلوم الضروريات.

س١٦: ما معنى قول الشيخ: ولو أمعنوا النظر لسوا بين المتماثلات وفرقوا بين المختلفات كما تضمنته المعقولات ومن هم المعنيون بهذا القول؟

ج: معناه أن المعتزلة واتباعهم الذين ينفون الأسماء والصفات أو من يثبت بعض الصفات وينفي البعض الآخر هؤلاء لو نظروا بعين البصيرة والتأمل لسوا بين الأمور المتماثلة وفرقوا بين الأمور المختلفة فمن يثبت الأسماء وينفي الصفات قد فرق بين المتماثلين. ومن يثبت بعض الصفات وينفي بعضها كذلك.

س١٧: ما معنى قول الشيخ يسفسطون في العقلیات ويقرمطون في السمعیات؟

ج: - السفسطه^(١) نفي الحقائق الثابتة مع العلم بها وسفسطتهم في

(١) السفسطه: معناه: التغليب والتمويه، وأصلها من «سُوسِطا» كلمة يونانية مركبة من كلمتين: «سرفا» بمعنى: العلم والحكمة، و«أسطا» معناها: المزخرف والغلط، فمعنى «سوفسطا» الحكمة الموهبة المزخرفة الباطلة واشتق منها المصدر الرباعي فقيل: «السفسطه» كالفلسفة من «فيلاسوف» أي محب الحكمة، انظر شرح العقائد النسفية ٩٠.

الصفات أنهم جحدوا معاني نصوص الصفات مع علمهم بما دلت عليه والقرمطه تفسير النصوص بمعان تخالف ما هو مقتضي لفظهما والانحراف بها عن حقيقة المقصود منها. ووجه قرمطتهم أنهم جعلوا للنص معنى باطنا يخالف معناه الظاهر.

س ١٨: كيف ترد على، من عطل الله عن الوجود وأوضح الدليل العقلي على وجود الله من قوله: (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون)؟^(١)

ج: - يرد عليهم بما علم من ضرورة العقل بأنه لا بد من موجد قديم غني عما سواه إذ نحن نشاهد حدوث المحدثات كالحوانات ونحوه والحادث ممكن ليس بواجب ولا ممتنع وقد علم بالاضطرار أن المُحدث لا بد له من مُحدث والممكن لا بد له من موجد. تنبيه: تدل هذه الآية على احتمالات ثلاثة: الأول: أن العدم خلق هذا العالم. الثاني: أن العالم خلق نفسه. الثالث: أن الله خلق العالم. فالاحتمالان الأولان باطلان ببدهة العقل فثبت أن الله هو الخالق للكون.

س ١٩: هل يلزم من مطلق اشتراك المسميات في الاسم اتفاقهما في المسمى. وضح ذلك بالتمثيل والتعليل وهل اشتراك المسميين يكون في الذهن والخارج؟ أم ماذا؟

ج: لا يلزم من اشتراك المسميات في الاسم اشتراكهما في المسمى

(١) الطور: ٣٥.

فمثلا العرش شيء موجود فلا يقول عاقل: إن العرش مثل
البعوض لاتفاقهما في مسمى الشيء الموجود لأنه ليس في
الخارج شيء موجود يشتركان في المعنى العام الكلبي وهذا لا
وجود له إلا في الذهن لا في الحس. بل الذهن يأخذ معنى كليا
مشتركا هو مسمى الاسم المطلق والاشتراك المطلق يكون في
الذهن من ناحية المعنى العام فهو يخالف البعض الآخر فإذا قيل
هذا موجود وهذا موجود فكل منهما وجوده يخصه ولا يشركه في
غيره مع أن الاسم حقيقة في كل منهما.

س٢٠: هل اتفاق المسمين في الاسم الواحد يستلزم تماثل مسماهما.
وضح ذلك؟

ج: - لا يستلزم ذلك اتفاقهما وتماثلهما عند الإطلاق والتجريد فضلا
عن أن يتحد مسماهما عند الإضافة والتخصيص فهو سبحانه
سمي نفسه حيا وسمي بعض عباده حيا وليس هذا الحي مثل هذا
الحي أبدا، وكذلك سمي نفسه سمياً بصيراً وسمي الإنسان
كذلك ولا يلزمه هذا تماثل المسمى.

س٢١: اذكر بایجاز الأصلين اللذين ذكرهما الشيخ رداً على كل من
الماتريدية، والأشاعرة والمعتزلة والجهمية في باب الأسماء
والصفات؟

ج - الأصل الأول:

أن يقال القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر. فيقال
للمفرق بين الصفات إما أن تثبت جميع الصفات أو تنفيها لأن
الكل من باب واحد. فالذي يلزم من المحذور في بعضها يلزم في
البعض الآخر وكذلك القول في الأسماء كالقول في الصفات إما

أن تثبت الأسماء والصفات معا أو تنفيهما معا فأما اثبات بعضها ونفي الآخر فهو تفريق بين المتماثلين من غير موجب له .

الأصل الثاني :

أن القول في الصفات كالقول في الذات فكما أن لله ذاتا لا تشبه الذوات فكذلك له صفات لا تشبه الصفات ، فالصفات فرع من الذات فكما يقال فيها يقال في الصفات .

س ٢٢ : اذكر مذهب الأشاعرة في الأسماء والصفات مبينا شبهتهم وهل يمكن اثبات جميع الصفات بالعقل أم بعضها . وكيف ترد على تفريقهم ؟

جـ : - مذهب الأشاعرة يثبتون الأسماء وسبع صفات فقط هي :
الإرادة - القدرة - السمع - البصر - الكلام النفسي - الحياة - العلم .
وقد جمعها بعضهم في بيت فقال :

له الحياة والكلام والبصر سمع وإرادة وعلم واقتدار
ويستدلون على ذلك بالعقل ووجه ذلك : أن العقل الحادث دل على العلم وهذه الصفات السابقة القدرة والإرادة والعلم مستلزمة للحياة والحي لا يخلو من السمع والبصر والكلام أو ضد ذلك وفي هذا جوابان :

أحدهما : أن عدم الدليل المعين لا يستلزم عدم المدلول المعين لأنه قد يتنفي هذا الدليل ويثبت المدلول بغيره فلو أن شخصا لم يعلم بكتاب طبع وقد علمه غيره لا يكون دليلا على انتفائه ونقول له هب أن ما سلكت من الدليل العقلي لا يثبت ذلك أي من الصفات الأخرى غير السبع فإنه لا ينفيها مع أن العقل لا ينفيها فهي قد تثبت بطريق أوسع وهو السمع .

وأيضاً يلزمه أن يأتي بدليل كالمثبت سواء بسواء وليس لك أن تنفيها لأن الثاني عليه كما على المثبت من وجوب الإتيان بدليل على دعواه.

الجواب الثاني: أنه يمكن إثبات بقية الصفات لنظير ما أثبت به تلك الصفات من العقليات فيقال نفع العباد بالإحسان إليهم تدل على صفة الرحمة بدلالة التخصص على المشيئة والإرادة وإكرام الطائعين يدل على صفة المحبة وعقاب الكافرين يدل على صفة البغض ونحو ذلك.

والجواب: عن تفريقهم بين صفة وصفة: أن القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر فإذا كان يمكن إثبات البعض بدون تشبيهه لزم إثبات الآخر كذلك وجميع الصفات يمكن إثباتها بالعقل إذا الكل من باب واحد فما يلزم من المحذور في بعضها يلزم في البعض الآخر.

س ٢٣: ما مذهب المعتزلة في الأسماء والصفات. وكيف ترد عليهم وما الذي يلزم على مذهبهم من الباطل.

ج: - المعتزلة يشبّتون الأسماء وينفون الصفات فيقول المعتزلي. حي عليم قدير وينكر اتصافه بالحياة والعلم والقدرة.

ويرد عليه بأن لا فرق بين إثبات الأسماء وإثبات الصفات فإن قلت إثبات الصفات يقتضي التشبيه والتجسيم لأنك لا تجد على ذلك الزعم في الشاهد ما هو مسمى حي عليم قدير إلا ما هو جسم فيلزمك على هذه الشبهة أن تنفي الأسماء لأن الأسماء التي يسمي بها المخلوق لا تقوم إلا بجسم فيلزمك على هذا التشبيه فإذا لا بد أن تنفي الأسماء كما نفيت الصفات.

س ٢٤: ما مذهب الجهمية في الأسماء والصفات وما شبهتهم في ذلك وكيف ترد عليهم.

ج: - مذهب الجهمية أنهم ينفون الأسماء والصفات ويقولون إثبات ذلك يستلزم التشبيه فهم يقولون لا موجود ولا حي ولا قدير ويلزمهم إذا قالوا ذلك أن يكون تشبيها بالمعدومات، بل بالمتنعات وذلك أقبح من التشبيه بالموجودات ويقولون إثبات الصفات كالعلم والقدرة والإرادة يستلزم تعدد الصفات وهذا تركيب ممتنع في نظرهم.

والرد عليهم: أن يقال لهم إذا قلتم هو موجود واجب وعقل وعاقل^(١) أفليس المفهوم من هذه الصفات التي أثبتوها هو المفهوم من الصفات التي أثبتها أهل السنة كالاستواء ونحوه فالمفهوم واحد كل صفة مغايرة للأخرى من حيث التعدد وهذا تركيب عندهم وأنتم تثبتونه وتسمونه توحيدا فإن قالوا هذا توحيد في الحقيقة وليس تركيبا ممتنعا وقبل لهم اتصاف الذات بالصفات اللازمة لها توحيد في الحقيقة وليس تركيبا ممتنعا.

س ٢٥: إذا قال بعض النفاة: أنا أنفي النفي والإثبات فما مقصوده بذلك؟ وما الذي يلزمه تجاه ذلك؟

ج: - إذا قال بعض النفاة هذه المقالة فمقصوده أن ذلك لا يلزمه التشبيه بالموجودات ونقول له يلزمك التشبيه بالمعدومات بل بالمتنعات لأنه يمتنع أن يكون الشيء موجودا أو معدوما وكما يمتنع أن

(١) هؤلاء الغلاة من الجهمية يزعمون أن تعدد الصفات لله يجعل الله مركب لذا أنكروا صفات الله تعالى خوفا من التعدد والتركيب، فاضطروا إلى أن جعلوا الفاعل وفعله شيئا واحدا فقالوا هو عاقل وعقل.

يكون الشيء لا هو موجود، ولا هو معدوم فالأعمى الذي يقبل
الاتصاف بالبصر أكمل من الجماد الذي لا يقبل الاتصاف به..

س٢٦: ما المراد بالتشبيه الذي نفتته الأدلة السمعية والعقلية. وهل من
ذلك اتفاق المسميين في بعض الأسماء والصفات؟

ج: - المراد بالتشبيه المنفى هو الذي يستلزم اشتراك الخالق بالمخلوق
فيما يختص به الخالق مما يختص بوجوده كصفات الكمال أو
جوازه مثل كونه يحيى ويميت أو امتناعه كاتخاذ الصاحبة والولد
ونحوها.

وليس من ذلك اتفاق المسميين في بعض الأسماء والصفات.

س٢٧: ما غرض النفاة في كونهم جعلوا إثبات الأسماء والصفات تشبيها
وتجسيما وما الذي يترتب على ذلك لو كان صحيحا. وما نتيجة
ذلك. وما هو لازم - مقالة الملاحدة.

ج: - غرضهم التمويه على الجهال الذين يظنون أن كل معنى يسمى له
هذا الاسم يجب نفيه وأما ما نفوه فهو ثابت في الشرع والعقل
وليس منفيا.

ولو ساغ هذا لكان كل مبطل يسمى الحق بأسماء ويستفسر منها بعض
الناس ليكذبهم بالحق المعلوم بالسمع والعقل. ونتيجة ذلك أن هؤلاء -
الملاحدة أفسدوا على طوائف الناس عقولهم ودينهم حتى أخرجوهم إلى
أعظم الكفر والجهالة وأبلغ الغي والضلالة.

الأصل الثاني:

س٢٨: ما حكم السؤال عن كيفية الصفة. علل لما تقول وكيف تجيب
من يسأل عن كيفية الصفة؟

ج: - السؤال عن الكيفية لا يجوز بل هو بدعة لأنه سؤال عن كيفية لا

يعلمه البشر ولا يمكنهم الإجابة عنه وإذا سئل إنسان عن كيفية
صفة من صفات الله فإنه يجيب بجواب مالك بن أنس^(١) وربيعه
الرأي^(٢) وغيرهما^(٣) فمثلاً لو سئل عن كيفية الاستواء يقال له:
الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه
بدعة.

س ٢٩: عندما يسأل المعطل كيف ينزل ربنا؟ كيف تجيب عليه؟

ج: - إذا قال المعطل ذلك أقول له كيف هو؟ عند ذلك يقول هو لا أعلم
كيفيته فأقول له وكذلك نحن لا نعلم كيفية نزوله. لأن العلم بكيفيته
يستلزم العلم بكيفية الموصوف وهو فرع له وتابع له إذا الكلام في
الصفات فرع من الكلام في الذات فكيف تطالبني بمعرفة كيفية سمعه
وبصره ونزوله واستوائه وأنت لا تعلم كيفية ذاته؟

س ٣٠: قال ابن تيمية رحمه الله «وهذا الكلام لازم لهم في العقلية وفي
تأويل السمعية»، من المقصود بهذا الكلام. وما معنى ذلك.
وما الذي يلزم من نفي شيئاً. أو أثبت شيئاً بطريق العقل. وهل
يجد المفرق بين الصفات فرقا حقيقياً بينها وما الذي يلزم من عدم
التفريق بين الصفات؟

ج: - المقصود هنا هم الأشاعرة والماتريدية ومعنى ذلك أن الكلام
السابق الذي ذكره المؤلف من حيث ثبوت جميع الصفات ونفي
المماثلة وعدم العلم بالكيفية شامل لجميع الصفات وهو لازم

(١) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (١٣٨/٧) والصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث (١٧-
١٨).

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤٤١/٣) والبيهقي في الأسماء
والصفات ص ٤٠٨-٤٠٩.

(٣) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤٤٠/٣).

للأشاعرة في الصفات السبع التي يسمونها عقليات وفي البقية التي يسمونها سمعيات ومن حاول التفريق بينهما تناقض وإذا أثبت بعض الصفات بالعقل ونفي البعض الآخر لزمه فيما نفاه من الصفات التي جاء بها الكتاب والسنة نظير ما يلزمه فيما أثبتته. وهذا المفرق لا يجد فرقا بين المحذور فيما أثبتته وهي الصفات السبع وبين المحذور فيما نفاه من الصفات ويترتب على عدم التفريق أن لا يوجد لنفاة بعض الصفات قانون مستقيم فإذا قيل لهم لم تأولتم هذا وأثبتتم هذا لم يكن لديهم جواب صحيح.

س ٣١: وضح التناقض عند الأشاعرة والماتريدية في الإثبات. وما الذي يلزم من ذلك؟ بين ذلك بالتفصيل؟

ج: - تناقض الأشاعرة والماتريدية في الإثبات هو تأويلهم النص من معنى إلى آخر وهم إذا حرفوا النص عن المعنى الذي هو مقتضاه إلى معنى آخر لزمهم في المعنى المصروف إليه ما كان يلزمهم في المعنى المصروف عنه.

فمثلا قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^(١). يؤولون المحبة بإرادة القلوب فالذي يلزمهم من المحذور في إثبات صفة المحبة وهو المعنى المصروف عنه لازم في إثبات صفة الإرادة وهو المعنى المصروف إليه.

س ٣٢: عندما يتأول الأشعري أو الماتريدي معنى المحبة والرضا بأنهما مفعولات الله فكيف ترد عليه؟ وما الذي يلزمه من هذا التأويل الباطل؟

ج - إذا تأول الأشعري أو الماتريدي المحبة والرضا والغضب بمفعولات الله وهي مخلوقات من الثواب والعقاب يرد عليه من وجهين:

(١) آل عمران: ٣١.

١ - أن الفعل كالإثابة لابد أن يقوم بالفاعل وهو الله جل وعلا كذلك المخلوق يوصف بالفعل فيلزمك التشبيه.

٢ - أن الثواب والعقاب المفعول إنما يكون على فعل ما يحبه ويرضاه ويسخطه ويغضبه المثير المعاقب. فثبت لله صفتا الغضب والرضا.

ويلزمهم أنهم إذا أثبتوا بالفعل على مثل الوجه المفعول في الشاهد للعبد مثلوا لا أن الخالق يوصف بالفعل وكذلك المخلوق وهذا تشبيه وأنتم تقولون به وإن أثبتموه على خلاف ذلك، وقالوا فعل الخالق يليق به وكذلك فعل المخلوق يليق به فهذا هو الواجب في الصفات.

س ٣٣: بين المراد من إيراد هذين المثليين. مع ذكرهما بإيجاز؟

ج - المراد من إيرادهما هو توكيد الأصلين السابقين وتوكيد ما ينفي من مماثلة الله لخلقه.

المثل الأول:

أنه لا يلزم من اشتراك المسميات في الاسم العام اشتراكهما في المسمى والحقيقة فمثلا ما في الجنة - من نعيم ومقام ليس مثل ما في الدنيا بل بينهما تباين عظيم لا يعلمه إلا الله فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما - «ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء»^(١) فالخالق سبحانه أعظم مباينة للمخلوقات من مباينة المخلوق للمخلوق.

ومباينته سبحانه للمخلوقات أعظم من مباينة موجود للآخر من موجودات الدنيا ذلك لأن المخلوق أقرب إلى المخلوق الموافق له في الاسم من الخالق إلى المخلوق.

(١) أخرجه ابن السري في الزهد (٤٩/١-٥١) وابن جرير في التفسير (١٧٤/١) قال المنذري (رواه البيهقي بإسناد جيد) انظر فيض القدير ٣٧٣/٥.

المثل الثاني :

أنه لا يلزم من كون الشيء موجودا معرفة كيفية صفاته . لأن الروح موجودة فينا لا ينكر وجودها أحد ، ولكن لا يقدر أحد على تكيف صفاتها . فكذا صفات الله تعالى .

* * *

س ٣٤ : اذكر أقوال الفرق فيما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر مع الإشارة إلى مذهب القرامطة والباطنية في ذلك بالتفصيل ؟

ج - انقسم الناس في هذا المقام إلى ثلاث فرق :

١ - الفرقة الأولى : أهل السنة والجماعة آمنوا بذلك كله مع علمهم بالمباينة التي بين ما في الدنيا وبين ما في الآخرة وأن مباينة الله لخلقه أعظم .

٢ - الفرقة الثانية : الذين أثبتوا ما أخبر الله به في الآخرة من الثواب والعقاب ونفوا كثيراً مما أخبر به من الصفات مثل طوائف أهل الكلام .

٣ - الفرقة الثالثة : الذين نفوا هذا وهذا كالقرامطة والباطنية الذين ينكرون حقائق ما أخبر به عن نفسه وعن اليوم الآخر ثم أن كثيراً منهم يجعلون الأمر والنهي من هذا الباب - فيجعلون الشرائع المأمور بها والمحظورات المنهى عنها لها تأويلات باطنية تخالف ما عليه المسلمون كما يؤولون الصلوات الخمس وصيام رمضان وحج البيت فيقولون إن الصلوات الخمس معرفة أسرارهم والصيام كتمان وحج البيت السفر إلى مشائخهم ونحو ذلك من التأويلات التي يعلم أنها كذب وافتراء على الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتحريف لكلام الله ورسوله عن مواضعه

كما أنهم يقولون الشرائع تلزم العامة دون الخاصة فإذا صار الرجل من عارفهم ومحقيهم رفعوا عنه الواجبات وأباحوا له المحظورات وأجمع المسلمون على أنهم أكفر من اليهود والنصارى.

س ٣٥: ما حكم ضرب الأمثال لله تعالى؟ ولماذا؟ مع بيان أنواع القياس وما الذي يستعمل منها في حق الله؟ وما المثل الأعلى الذي يجب لله؟

ج - لا يجوز ضرب الأمثال لله تعالى، التي فيها مماثلة لخلقه، لأنه سبحانه لا مثيل له، بل له المثل الأعلى. وأما أنواع القياس فهي ثلاثة:

١ - قياس التمثيل^(١) وهو إلحاق الفرع بالأصل في حكم جامع بينهما مثل قول النفاة لو كان الله متصفاً بالصفات لكان حتماً قياساً على المخلوق في أن كلا منهما متصف بالصفات.

٢ - قياس الشمول^(٢) وما تركيب من تعدد مثلين فأكثر مستعملاً فيه فقط «كل» الشمولية وما يستوى أفرادها.

مثاله: قول النفاة المخلوق متصف بالصفات وكل متصف بالصفات فهو جسم عندهم فنفوا صفات الله لثلاثاً يدخل في العموم الذي تفيدته كل.

٣ - قياس الأولى^(٣) وهو المثل الأعلى وهذا يجوز استعماله في حق الله تعالى والمراد بالمثل الأعلى الذي يجب لله هو أن كل ما اتصف به المخلوق من كمال وجاز أن يتصف به الخالق فالخالق

(١) وهو قياس الأصوليين من الفقهاء.

(٢) وهو قياس المناطقة والمتكلمين.

(٣) وهو كون غير المذكور أولى بالحكم من المذكور، وهو ما يسمى عند الأصوليين دلالة النص. كقوله تعالى: «ولا تقل لهما أف» [إسراء: ٢٣] فهذه الآية تدل على تحريم الأف للوالدين بعبارة النص وتدل بدلالة النص على أن ضرب الوالدين وشتمهما أولى بالتحريم.

أولى به وكل ما ينزه المخلوق عنه من نقص فالخالق أولى بالتنزيه عنه . . فإذا كان المخلوق منزها عن مماثلة المخلوق مع الموافقة بالاسم فالخالق أولى أن ينزه عن مماثلة المخلوق وإن حصلت موافقة في الاسمية .

س ٣٦: ماهو مراد شيخ الإسلام من إيراده بحث الروح هنا؟ وما سبب اختلاف واضطراب النفاة والمثبتة فيها، مع ذكر بعض من أقوال النفاة فيها؟

ج - مراده مقصوده بيان أن الروح متصفة بصفات والبدن متصف بصفات ولم يوجب ذلك أن تكون الروح مثل البدن فالرب سبحانه متصف بصفات وكذلك المخلوق وليست صفات الخالق كصفات المخلوق وسبب اضطراب النفاة والمثبتة في الروح أن الروح التي تسمى بالنفس الناطقة عند الفلاسفة ليست هي من جنس هذا البدن ولا من جنس العناصر والمولدات منها بل هي من جنس آخر مخالف لهذه الأجناس فصار هؤلاء لا يعرفونها إلا بالسلوب التي توجب مخالفتها للأجسام المشهودة وطائفة أخرى يجعلونها من أجزاء البدن أو صفة من صفاته كقول بعضهم إنها الحياة أو المزاج أو نفس البدن .

س ٣٧: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وإطلاق القول على الروح بأنها جسم أو ليست بجسم . . يحتاج إلى تفصيل . . اشرح هذا التفصيل؟

ج - إطلاق القول على الروح بأنها جسم . . . أو ليست بجسم . . يحتاج إلى تفصيل . لأن في لفظ الجسم أقوالاً للناس متعددة اصطلاحية غير معناه الأصلي اللغوي فأصل الجسم عند أهل اللغة^(١): هو الجسد والبدن وبهذا الاعتبار ليست الروح جسماً

(١) انظر مختار الصحاح ٤٤ .

ولهذا يقولون الروح والجسم كما قال تعالى: ﴿وزاده بسطة في العلم والجسم﴾^(١).

وأما أهل الكلام^(٢) فعندهم أن الجسم هو القائم بنفسه أو المركب من الجواهر المفردة أو المركب من المادة... والصورة أو ليس مركباً مما ذكر... بل هو ما يشار إليه ويقال إنه هنا أو هناك وهذا القول هو الصحيح الذي يشهد له العقل والنقل في تعريف الجسم وهو ما يقبل الإشارة الحسية ويمكن رؤيته ومتصف بالصفات وعليه يصح أن تسمى الروح جسماً لأنها مما يصح أن يشار إليه ويتبعها بصر الميت وأنها تقبض ويعرج بها إلى السماء كما قال النبي^(٣) ﷺ.

«القاعدة الثانية»

س ٣٨: ما هو الواجب على العبد نحو ما أخبر به الرسول (ﷺ) من ربه عز وجل؟ وما السبب؟ وهل يتوقف الإيمان به على إدراك معناه؟ وهل يندرج في هذا الإطار مذهب عامة السلف أو ما يثبت عنهم؟ وهل هذا القسم غير الأول؟ وهل هناك صفات وأسماء غير مذكورة في الكتاب والسنة؟

ج - يجب على العبد أن يؤمن بكل ما أخبر به الرسول (ﷺ) عن ربه سواء عرفناه أم لم نعرف معناه لأنه الصادق المصدوق فما جاء بالكتاب والسنة واجب على كل مؤمن بالإيمان به وإن لم يفهم معناه ويدخل في هذا ما ثبت باتفاق السلف فيجب الإيمان به وليس هذا القسم غير الأول بل هو تابع له لأن ما أثبتته السلف

(١) البقرة: ٢٤٧.

(٢) انظر التعريفات ١٠٣-١٠٤.

(٣) رواه مسلم ٢٢٠٢/٤.

فهو ثابت بالكتاب والسنة وفيه أسماء وصفات لله استأثر بها في علم الغيب عنده.. كما دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة ومنها حديث: (اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك)^(١).

س ٣٩: هل يجوز الإيمان بما تنازع فيه المتأخرون نفيًا وإثباتًا أم لا بد من الاستفصال عنه. وضح ذلك؟

ج - ما تنازع فيه المتأخرون نفيًا وإثباتًا وليس على أحد - بل ولا له - أن يوافق أحداً على إثبات لفظه أو نفيه حتى يعرف مراده.

فإن أراد حقاً قُبِلَ وإن أراد باطلا رُدَّ. وإن اشتمل على حق وباطل لم يقبل مطلقاً ولم يرد جميع معناه، بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى كتنازع الناس في الجسم والحيز والجهة ونحو ذلك.

س ٤٠: مما تنازع فيه المتأخرون لفظة الجهة. بين ذلك وما المقصود من هذا اللفظ؟ وهل جاء في النص إثبات الجهة أو نفيها؟ ناقش من قال بنفيها أو إثباتها مبيناً الصحيح مما تقول مع التعليل؟

ج - لفظ الجهة قد يراد به شيان موجود غير الله فيكون مخلوقاً كما إذا أريد بالجهة العرش أو السموات وقد يراد به ما ليس بموجود غير الله تعالى كما إذا أريد بالجهة ما فوق العالم فالأول وجودي، والثاني عدمي ولفظ الجهة لم يرد بالكتاب والسنة لا نفيًا ولا إثباتًا فيقال لمن نفي أتريد بالجهة أنها شيء موجود مخلوق كالسموات فنفيك صحيح لأن الله ليس داخلاً

(١) رواه أحمد ٣٩١/١ وهو صحيح.

بالمخلوقات، أم تريد بالجهة ما وراء العالم فنفيك باطل لأن الله فوق العالم مباين للمخلوقات فكأنك قلت إن الباري ليس بموجود وهذا باطل لأنه لا موجود فوق العرش إلا الله تعالى .

وأما المثبت فيقال له أتريد بذلك أن الله فوق العالم عال على عرشه فهذا صحيح لأنك مثبت لوجود الله ومؤمن به . أم تريد أن الله داخل في المخلوقات فهذا باطل لأن الله ليس داخلاً في شيء من مخلوقاته .

س ٤١ : ما معنى الحيز وما المراد به؟ وما الذي يقصده النفاة بقولهم (إنه ليس بمتحيز)؟ وكيف تجيب عن هذه الشبهة؟ وناقش من قال بنفي التحيز أو إثباته؟

ج - التحيز هو الوقوع في الحيز، والحيز عند المتكلمين: هو الفراغ المتوهم الذي يشغله شيء ممتد كالجسم أو غير الممتد كالجوهر الفرد، وهو أعم من المكان عندهم، فإن المكان هو البعد الذي يشغله الجسم، والحيز والمكان عند الفلاسفة شيء واحد وهو: عندهم: السطح الباطن من الجسم الحاوي المماس للسطح الظاهر من الجسم المحوي^(١) .

ويقصد هؤلاء النفاة بعباراتهم - أن الله ليس بداخل العالم ولا خارجه ويرد عليهم بما رد به على القرامطة لأن كليهما سالب للنقيضين فإن أراد من قال بالتحيز:

(١) - أن الله تحوزه المخلوقات فإن الله أكبر وأعظم بل قد وسع كرسیه السموات والأرض قال الله تعالى: (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه)^(٢) .

(١) التعريفات ص ٩٤ .

(٢) الزمر: ٦٧ .

(٢) - وإن أراد أنه منحاز عن المخلوقات، أي مباين لها منفصل عنها ليس حالاً فيها فهو سبحانه كما قال أئمة السلف وأهل السنة فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه.

«القاعدة الخامسة»

س ٤٢: هل يعلم ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر مجملًا أم فيه تفصيل؟ أوضح ذلك مع الدليل والتوجيه؟

ج - نعلم ما أخبرنا الله به من وجه ودون وجه فنعلمه من جهة المعنى ونجهله من جهة الكيفية قال تعالى: (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)^(١) ووجه الدلالة أنه حث على تدبر القرآن وتعقل معناه لأن ذلك ممكن.

س ٤٣: قال تعالى: (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به)^(٢). اختلف العلماء حول موضع الوقوف في هذه الآية وضح ذلك؟ وما الذي يترتب عليه؟ وهل يوجد تعارض بين هذه الأقوال وبين أقسام التأويل؟

ج - القول الأول: أن الوقوف يكون على لفظ الجلالة يعني على قوله (وما يعلم تأويله إلا الله). فتكون الواو حيثئذ للاستئناف في قوله (والراسخون) ويكون الخبر جملة (يقولون) وهذا مذهب الجمهور مستدلين بقراءة ابن عباس^(٣) رضي الله عنه (وما يعلم تأويله إلا الله الراسخون في العلم يقولون آمنا به) ولأن الآية

(١) محمد: ٢٤.

(٢) آل عمران: ٧.

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره ١٨٣/٣.

ذمت مبتغي المتشابه. ووصفتهم بالزيف وابتغاء الفتنة وتكون دليلاً على ما لا نعلم والمتشابه غير المحكم.

القول الثاني: أن الوقف على قوله والراسخون في العلم فتكون الواو عاطفة. قال به طائفة على رأسهم مجاهد^(١): مستدلين بأن الله مدح العلماء بالرسوخ في العلم فكيف يمدحهم وهم لا يعلمون ذلك وهذا دليل على علمهم بالمتشابه. ولا تعارض بين القولين لأن التأويل له ثلاثة معانٍ:

أولاً: إن التأويل هو حقيقة الشيء وما يؤول إليه الكلام وهذا جائز فإن أريد به التأويل من الآية؟ فالوقف على لفظ الجلالة، لأن حقائق الأمور وما تؤول إليه لا يعلمها إلا الله. قال تعالى: (هل ينظرون إلا تأويله)^(٢) فتأويل ما في القرآن من أخبار المعاد هو حقيقة ما أخبر الله به مما يكون من القيامة والحساب والجزاء والجنة والنار.

ثانياً: أن التأويل بمعنى التفسير والبيان، وهو الكلام الذي يفسر به اللفظ حتى يفهم معناه وهذا من اصطلاح المفسرين فمعنى قول مجاهد أن العالم يعلم تأويل المتشابه فالمراد معرفة تفسيره.

فإن أريد به التأويل من هذه الآية فالوقف على قوله: ﴿والراسخون في العلم﴾ لأنهم يفهمون ما خاطبوا به (من ذلك قول بن جرير وغيره/ تأويل قوله تعالى يعني تفسيره. وقوله اختلف علماء التأويل أي التفسير).

ومنه قول عائشة رضي الله عنها: (كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن)^(٣).

(١) رواه ابن جرير ١٨٣/٣.

(٢) الأعراف: ٥٣.

(٣) رواه البخاري ٢٨١/١، ٢٨٢، ١٩٠١/٤، ومسلم ٣٥٠/١.

ثالثاً: أن التأويل هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح للدليل يقترون به وهذا اصطلاح كثير من المتأخرين من المتكلمين^(١) في الفقه وأصوله وقد تسرب إلى القواميس اللغوية المتأخرة^(٢) وهذا باطل.

س ٤٤: لماذا يعد الفقهاء أعلم بالتأويل من أهل اللغة؟ وما معنى تأويل الخبر؟ وتأويل الأمر والنهي؟ من أي أقسام التأويل ذلك؟ وما الفرق بين التأويلين؟

ج: - الفقهاء أعلم بالتأويل من أهل اللغة فهم يعلمون ما أمر به ونهى عنه لعلمهم بمقاصد الرسول (ﷺ) وتأويل الخبر نفس وقوع المخبر به وتأويل الفعل نفس المأمور به وهما من النوع الأول من أنواع التأويل.

والفرق بين تأويل الأمر والنهي وتأويل الخبر. أن تأويل الأمر والنهي لا بد من معرفته لامثال المأمور به وترك المحذور، أما تأويل الخبر فيكفي مجرد الإيمان به فإن ظهر معناه فهو من تعليم الله به وإن لم يظهر ذلك أوكل علمه إلى عالمه.

س ٤٥: بين معاني المفردات الآتية مع التمثيل المترادف:-

الترادف - الاشتراك اللفظي - التواطؤ - التباين . . . وهل دلالة أسماء الله على ذاته من قبيل المترادف أم من قبيل المتواطئ؟

ج: - الترادف: اختلاف اللفظ واتحاد المعنى. كالأسد والليث والهزبر كلها دالة على مسمى واحد. الاشتراك اللفظي: اتحاد اللفظ واختلاف المعنى كالعين تستعمل للعين الجارية وللجاسوس التواطؤ: اتفاق اللفظ والمعنى - نور الشمس ونور القمر.

(١) انظر إجماع العوام ٧٣، وفصل المقال ١٩-٢٠.

(٢) انظر لسان العرب ٣٤/١٣ وتاج العروس ٣١٥/٧ والنهاية في غريب الحديث ٢٨٠/١.

التباين : اختلاف اللفظ. والمعنى مثل السماء والأرض.

ودلالة أسماء الله وصفاته على ذاته من قبيل الترادف لا من قبيل التواطؤ.

س٤٦ : وصف الله القرآن كله بأنه محكم ووصفه بأنه متشابه. اذكر دليلاً لذلك ووضح التشابه والإحكام وبيّن هل هناك تعارض؟

ج: - وصف الله القرآن بأنه متشابه فقال تعالى : ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني﴾^(١) ووصفه بأنه محكم حين قال : ﴿منه آيات محكمات﴾^(٢) وقال : ﴿كتاب أحكمت آياته﴾^(٣) ومعنى أنه محكم أي أنه كلام متقن فصيح يميز بين الحق والباطل من أوامره وبين الصدق والكذب من أخباره وهذا هو الإحكام العام.

ومعنى كونه متشابهاً. أي يشبه بعضه بعضاً في الكمال والجودة ويصدق بعضه بعضاً وهذا هو التشابه العام وليس في ذلك تعارض بل المراد - بإحكامه أنه متقن يصدق بعضه بعضاً ولا ينافي بعضه بعضاً فيكون متشابهاً أي يشبه بعضه بعضاً في الصدق والإعجاز.

س٤٧ : قال تعالى : ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾^(٤) الآية. ما المراد بالإحكام والتشابه هنا؟ مع تعريف التشابه والإحكام الخاص - وما منشأ التشابه وهل هو متشابه على كل الناس أم ماذا؟

ج: - المراد بالإحكام والتشابه في هذه الآية هو الإحكام والتشابه الخاصان والمتشابه الخاص هو خفاء المعنى وغموضه وهو

(١) الزمر: ٢٣.

(٢) آل عمران: ٧.

(٣) هود: ١.

(٤) آل عمران: ٧.

مشابته لغيره من وجه مع مخالفته له من وجه آخر بحيث يشبه على بعض الناس أنه هو أو ليس كذلك ومنشأ وجود قدر مشترك بين الشيتين مع وجود الفاصل بينهما الذي قد يهدى إليه وقد لا يهدى إليه .

والإحكام الخاص : ظهور المعنى ووضوحه وهو الفاصل بين الشيتين بحيث لا يشبه أحدهما بالآخر . ويعتبر التشابه تشابها على بعض الناس وهم الذين لا يهتدون إلى التمييز بين الأمور المتشابهة مع أنه في حد ذاته ليس متشابها ومثله اشتباه موجودات الآخرة في الجنة بموجودات الدنيا .

س٤٨ : بين المراد بالاختلاف المنفي في قوله تعالى : ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾^(١) .

ج : - المراد هو التناقض والاضطراب والمعنى أن القرآن ليس فيه تناقض واضطراب بحيث يكذب بعضه بعضا ، بل القرآن يصدق بعضه بعضاً .

س٤٩ : ما الذي يترتب على وجود المتشابه؟ وما أعظم الضلال الذي وقع فيه الناس - وضع ذلك؟

ج : - ترتب على وجود المتشابه ضلال كثير من بني آدم وأعظم ما وقعوا فيه أنه اشتبه عليهم وجود الرب بوجود كل موجود فظنوا أن المخلوق هو الخالق وسبب ذلك أن الموجودات تشترك في مسمى الوجود فرأوا الوجود واحدا ولم يفرقوا بين الواحد بالعين والواحد بالنوع .

(١) النساء : ٨٢ .

س ٥٠: ذكر المؤلف أن الأحكام يزيل التشابه الخاص هات مثلا بوضح ذلك مع بيان وجه التشابه فيه؟

ج: - مثال ذلك كلمتا «إنا» و«نحن»/ في قوله ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾^(١). وقوله ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾^(٢) الآية فمثل هذه النصوص تمسك بها النصارى على تعدد الآلهة وأنه ثالث ثلاثة فالمحكم كقوله تعالى: ﴿والهكم إله واحد﴾^(٣) مما لا يحتمل إلا معنى واحدا يزيل الاشتباه ومنشأ التشابه هنا أن لفظتي «إنا» و«نحن»/ يتكلم بهما الواحد والمعظم نفسه كما يتكلم بها شخص معه غيره والرب سبحانه يتكلم بها لما له من العظمة والجلال ولما له من العبيد والجنود الذين هم قهراء وأمرء.

س ٥١: بين الألفاظ التي يقع فيها التشابه؟ وما الذي يمنع ذلك؟ وهل لفظ الوجود مقول بالاشتراك أم بالتواطؤ؟

ج: - يقع التشابه في الألفاظ المتواطئة^(٤) والألفاظ المشتركة اشتراكا لفظيا وقد تقدم تعريفها.

والذي يزيل ذلك التشابه واحد من ثلاثة أمور:

١ - عارض قاطع نافي للمماثلة كما تقدم.

٢ - أو بالتعريف بآل.

(١) الفتح الآية: (١).

(٢) الحجر الآية: (٩٠).

(٣) البقرة الآية: (١٦٣).

(٤) الكلي المتواطئ هو الذي يصدق على جميع أفرادها على حد سواء، كإلنسان - فهو يصدق على زيد وعمر ويكر على حد سواء.

ويقاله الكلي المشكك وهو الذي يصدق على أفرادها مع الاختلاف في الشدة والضعف والزيادة والنقصان، كالأبيض مثلا فإنه يصدق على الجدار الأبيض بياضا شديدا وعلى الثوب الأبيض بياضا ضعيفا ولكنه مع الاختلاف في البياض. انظر تعريفات الجرجاني ٢٥٧، ٢٧٦.

٣ - أو بالإضافة فالمضاف إليه هو الجنة نحو نعيم الجنة،
فيعرف الفرق بينه وبين ما أضيف إلى الدنيا وكذا التعريف
بأل ولفظ الوجود مقول بالتواطؤ.

س٥٢: ما وجه إنكار الإمام أحمد وغيره على الجهمية ونحوهم لتأويلهم
المشابه من القرآن على غير تأويله - وما المراد بالتأويل الذي
أنكره عليهم؟

ج: - وجه إنكاره رحمه الله عليهم ما يأتي:

١ - أنهم تأولوه على غير تأويله.

٢ - أن معاني صفات الله معلومة ومراده بكلامه مفهوم.

والمراد بالتأويل الذي أنكره عليهم هو تحريفهم النص عن معناه إلى
غير معناه لغير دليل يوجب ذلك - وأما التأويل المراد به التفسير فهذا لا
يعاب بل هو محمود وأما المراد بالكيفية فهذا لا يعلمه إلا الله - وقد صنف
رحمه الله كتابا للرد على الزنادقة والجهمية.

س٥٣: ما الذي يترتب على عدم معرفة أقسام التأويل - وما حكم كل
قسم؟ ومن هم الذين ينفون التأويل؟ وما دليلهم؟ بين ذلك مع
ذكر وجه تناقضهم؟

ج: - يترتب على عدم معرفة أقسام التأويل أن يتناقض الإنسان
ويضطرب في أقواله والذين يعطلون مع نفي التأويل هم المفوضة
حيث يقولون إنه باطل وأن الحق إجراء اللفظ على ظاهره بدون
فهم معناه ويستدلون بقوله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾^(١)
ويلزم على هذه المقالة مايلي:

(١) آل عمران: ٧.

١ - أننا خوطبنا في القرآن بما لا يفهمه البشر.

٢ - أننا خوطبنا في القرآن بما لا معنى له بل هو ألفاظ جوفاء.

٣ - أننا خوطبنا في القرآن بما لا نفهم منه شيئا بل هو بمنزلة
الألفاظ الرموز. ووجه تناقضهم:-

أولا: أننا إذا لم نفهم شيئا لم يجوز أن نقول له تأويل يخالف ظاهره ولا
يوافقه وذلك لإمكان أن يكون له معنى صحيح لا يخالف الظاهر المعلوم لنا
فعلى قولهم يكون لا ظاهر له فلا يكون دالا على ذلك المعنى دلالة على
خلاف الظاهر وبالتالي لا يكون تأويلا لأنهم يقولون ببطلانه وعلى تقدير
نفي التأويل لا يجوز نفي - دلالة اللفظ على معنى لا نعرفها لعدم علمنا.

ثانيا: أننا إذا لم نفهم اللفظ ومدلوله فعدم معرفة المعاني التي لم يدل
عليه اللفظ أولى؛ لأن إشعار اللفظ بما يراد به من معنى أقوى من إشعاره
بما لا يراد به فعلى هذا لا يجوز أن يقال هذا اللفظ عدل عن المعنى الراجح
إلى المعنى المرجوح لأنه لا معنى له أصلا. حيث لم يشعر اللفظ بشيء
ومن باب أولى لا يقال له تأويل لا يعلمه إلا الله لإمكان أن يكون المعنى
الظاهر المعلوم هو المراد وإن قالوا نريد بالظاهر ما يماثل صفات المخلوقين
فنعرف النص عنه إلى المعنى اللائق بالله نقول في الجواب: إن كون ظاهر
النصوص تمثيلا باطل؛ لأن هذا ليس ظاهرا للنصوص، ولم يقل أحد من
السلف أن ظاهر النصوص هو التمثيل؛ لأنهم لم يرتضوا أن يكون ظاهر
القرآن والحديث باطلا. بل الصحيح أن ظاهر النصوص هو المعنى المتبادر
إلى الأذهان واللائق بجلال الله تعالى، وليس في هذا الظاهر أي تشبيه ولا
تمثيل، فلا تحتاج النصوص إلى تأويلاتهم التي هي التحريفات.

وأما الرد على المفوضة فهو كما يلي:-

(١) - قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾^(١) / وجه الدلالة أنه لو كانت معرفة النصوص مستحيلة لم يأمرنا الله سبحانه وتعالى بالتدبر.

(٢) - أنه لو كانت معرفة النصوص مستحيلة لكان إنزال القرآن والأمر بتدبره عبثاً والله منزّه عن ذلك جلّت قدرته.

«الأصل الثاني»

توحيد الشرع والقدر هو توحيد في العبادات والمتضمن للإيمان بالشرع والقدر . .

س ٥٥: وضح الواجب على العبد المكلف في باب الإيمان بالشرع والقدر؟ وهل الكلام فيه من باب الخبر أم من باب الطلب؟ مع ذكر مراتب الإيمان بالقدر؟

ج - يجب على العبد الإيمان بخلق الله وأمره فيؤمن بأن الله خالق كل شيء ولا قوة إلا بالله وأنه قد علم ما يكون قبل أن يكون وقدّر المقادير وكتبها حيث شاء وأنه قد علم كل شيء قبل أن يكون. والكلام فيه من باب الطلب والإرادة الدائرة بين الإرادة والمحبة وبين الكراهية والبغض نفياً كالنواهي وإثباتاً كالأوامر وأما مراتب الإيمان بالقضاء والقدر فهي أربع مراتب كما يلي:

- (١) - مرتبة العلم: وتتضمن إثبات علم الله السابق بكل شيء.
- (٢) - مرتبة الكتابة: وتتضمن إثبات كتابة الله لجميع الأشياء في اللوح المحفوظ.

(٣) - مرتبة المشيئة: أي إثبات المشيئة الإلهية الشاملة النافذة التي لا يردّها شيء.

(١) النساء: ٨٢.

(٤) - إيمان بأن الله خالق كل شيء من خير وشر وموجده والأدلة من الكتاب والسنة على ذلك غير خافية.

س٥٦: ما هي العبادة وما الذي تتضمنه؟ وما معنى قوله (ﷺ) «إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد»^(١)؟ وما المراد بالدين في هذا الحديث؟

ج - العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة وهي متضمنة كمال الذل والمحبة لله تعالى^(٢).
ويترتب على ذلك كمال طاعته سبحانه وتعالى وطاعة رسوله ﷺ. ومعنى الحديث: أن الأنبياء متفقون في أصول التوحيد مختلفون في الفروع والمراد بالدين توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له.

س٥٧: اشرح معنى الإسلام؟ ثم بين هل هو عام لكل الأنبياء وأتباعهم أم خاص بمحمد (ﷺ) وأتباعه؟ دلل على ما تقول. ثم وضح رأي المصنف في هذا.

ج - الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص له من الشرك واختلف العلماء هل هو عام لجميع الأنبياء أم خاص بمحمد ﷺ وأتباعه على ما يلي:

أ - قيل إنه عام لجميع الأنبياء على دين الإسلام قال تعالى عن نوح: (وأمرت أن أكون من المسلمين)^(٣) وقال عن يعقوب: (فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون)^(٤).

(١) البخاري (٤٧٨/٦).

(٢) العبودية ص (٥) طبعة المدني.

(٣) يونس: ٧٢.

(٤) البقرة: ١٣٢.

ب - وقيل خاص بمحمد (ﷺ) وأتباعه لقوله تعالى لنبيه: (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين... إلى قوله وأنا أول المسلمين)^(١). والصحيح: ما ذكره المؤلف في أنه إذا أريد به الإسلام بمعناه العام وهو الاستسلام لله والخضوع له والعبودية له فهو عام وإن أريد به شريعة القرآن فهو خاص بنبينا محمد (ﷺ) وأمة والله أعلم.

س ٥٨: هل قال أحد من الناس بوجود صانعين متكافئين في الصفات والأفعال؟
أشرح ذلك مبينا مذهب الثنوية والمجوسية في بيان أصل العالم.

ج - لم يقل أحد من الناس إن العالم له صانعان متكافئان في الصفات والأفعال بل ولم يثبت أحد إلها مساويا لله في جميع صفاته وعامة المشركين مؤمنون بأن الله ليس له شريك مثله.

مذهب الثنوية والمجوسية: أن العالم صادر عن أصليين هما النور والظلمة فالنور خالق الخير والظلمة خالق الشر. ثم اختلفوا في التقديم فيهما فقليل الظلمة محدثة فتكون من جملة المخلوقات له وقيل قديمة لم تفعل إلا الشر فكانت ناقصة عن النور.

س ٥٩: اذكر أقسام التوحيد عند المتكلمين وأيهما أشهر عندهم؟ مع بيان الغلط الذي وقعوا فيه. وما الذي يدل عليه؟

ج - أقسام التوحيد عند المتكلمين^(٢) ثلاثة:

(١) - أنه واحد في أفعاله لا شريك له.

(٢) - أنه واحد في صفاته لا شبيه له.

(١) الأنعام: ١٦٢-١٦٣.

(٢) انظر الملل والنحل/٤٢، ضوء العالي ١٣ ورسالة التوحيد لمحمد عبده ٤٣.

(٣) - أنه واحد في ذاته لا قسيم له.

وأشهرها عندهم هو الأول، وقد غلطوا في هذا التقسيم لأنهم أهملوا توحيد العبادة ويدل على ذلك ما تقدم من تقرير التوحيد عند المرسلين الذي هو دين الإسلام بمعناه العام وأن ضده الشرك.

س ٦٠: تحدث عن النوع الأول من هذه الأنواع مبينا مقصودهم فيه ودليلهم عليه. مع بيان الغلط الذي وقعوا فيه في هذا النوع. . . وكيفية الرد عليهم. . . وهل هذا النوع مستقيم عند أهل السنة مطلقا أم ماذا؟

ج - مقصودهم أن خالق العالم واحد ويستدلون على ذلك بدليل التمانع^(١). وهو دليل عقلي معناه أنه لو كان للعالم صانعان وحصل اختلافهما كأن يريد أحدهما إحياء جسم والآخر إماتته. فلا يخلو إما أن يحصل مرادهما معاً أو لا يحصل مراد واحد منهما أو يحصل مراد أحدهما دون الآخر. فالأول ممتنع لأنه جمع بين النقيضين والثاني - كذلك لأنه يستلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون - والثالث - ممكن فيكون القادر إلهاً والعاجز لا يصلح أن يكون إلهاً وهذا الاستدلال صحيح ولكن ليس هذا معنى لا إله إلا الله/ لأن معناها لا معبود بحق إلا الله. وهؤلاء غلطوا في جعل الإله بمعنى الرب من وجهين:

(١) - أنهم ظنوا أن الربوبية هي التوحيد المطلوب.

(١) سمي هذا الدليل بدليل التمانع، لأنه مبني على فرض تمنع الآلهة بعضهم بعضاً عن الصنع ومغالبة بعضهم بعضاً. انظر حاشية العصام على شرح العقائد ١٤٣. وانظر دليل التمانع عند المتكلمين، كتاب التوحيد للماتريدي ٢٠-٢١، وشرح العقائد النسفية ٣١-٣٢ والبداية للصابوني ٤٠، والمسامرة مع المسامرة ٤٤-٤٥ وانظر الطوالع ٢٣٧-٢٣٨.

(٢) - أنهم ظنوا أن هذا هو معنى / لا إله إلا الله لأن معنى الألوهية عندهم القدرة على الاختراع ويرد عليهم. بأن المشركين الذي بعث إليهم الرسول (ﷺ) كانوا يقرون بتوحيد الربوبية ولو كان هذا هو التوحيد المطلوب لم يمتنع المشركون من قوله لا إله إلا الله فلم ينازع أحد في أصل الربوبية وغاية ما وجد من ذلك أن من الناس من جعل لبعض الموجودات خالقاً غير الله، من القدرية ونحوهم مع أنهم يقرون بأن الله خالق العباد وقدرتهم أو قالوا إنهم خالقوا أفعالهم وأهل الكلام يسمونه توحيد الربوبية وقد غلطوا في الاستدلال على هذا بقوله تعالى: «والهكم إله واحد»^(١) لأن المقصود من هذه الآية بيان توحيد الألوهية فإن توحيد الربوبية كان معلوماً عند المشركين، كما غلط الجهمية في الاستدلال بهذه الآية أيضاً حيث زعموا أن الله تعالى واحد مجرد عن الصفات؛ وهذا باطل أيضاً لأن تعدد الصفات لا يخرج الموصوف عن كونه واحداً.

س ٦١: تكلم عن النوع الثاني عندهم مبينا المعنى المقصود به؟ وهل هو حق أم باطل؟ وما وجه بطلانه؟ وما أقصى ما ورد من التشبيه؟

ج - النوع الثاني يراد به معنيان:

(١) - حق وهو أن يراد أن الله مسمى بالأسماء الحسنى متصف بالصفات الكاملة التي لا يماثلها فيها أحد.

(٢) - باطل وهو أن يراد به نفي الخلق من كل وجه وهو الذي أرادوه ووجه بطلانه: أنه ليس من الأمم من ثبت قديماً مماثلاً لله على

(١) البقرة: ١٦٣.

السواء. وأن يشاركه أقصى ما ورد من التشبيه: هو تشبيه لبعض الخلق بالله من بعض الوجوه لا من جميعها.

س ٦٢: ذكر المؤلف رحمه الله أن الجهمية والمعتزلة وغيرهم أدخلوا نفي الأسماء والصفات في مدلول التوحيد عندهم، فما الذي يترتب على هذا؟ مع ذكر بعض الطوائف الأخرى التي سلكت هذا المسلك؟ وما الذي وقعوا فيه من باطل ولماذا؟

ج - يترتب على هذا أن من أثبت علما وقدرة أو يرى أن القرآن كلام الله غير مخلوق فإنه عندهم مشبه مجسم وليس بموحد. وسلك هذا المسلك طوائف أخرى بل زاد غلاة الفلاسفة. والقرامطة فنفوا أسماء الله وعندهم من قال إن الله سميع عليم قدير ونحوها فهو مشبه وليس بموحد وزاد غلاة القرامطة وقالوا لا يوصف بالنفي ولا بالإثبات لأن كلاً منهما تشبيه له، هؤلاء فروا من التشبيه بالحي المتصف بصفات الكمال فوقعوا في شر مما فروا منه حيث شبهوه بالممتنع والمعدومات فهو سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير/ فلا فرق بين إثبات الذات وإثبات الصفات. فإذا انتفت مماثلة الذوات انتفت مماثلة الصفات فالصفات فرع من الذات.

س ٦٣: تحدث عن النوع الثالث من أنواع التوحيد عند أهل الكلام مع بيان المقصود منه؟

ج - هذا النوع يراد منه معنيان:

(١) - معنى حق وهو أن يراد به أن الله سبحانه لا يجوز عليه التعدد بل هو واحد فرد صمد.

(٢) - معنى باطل وهو أن يراد به نفي الصفات كعلوه ونحو ذلك وهذا مرادهم منه زاعمين أن ذلك هو التوحيد.

س٦٤: ما الذي يستفاد مما تقدم من الكلام على هذه الأنواع. وما معنى الإله عند المتكلمين. وما الذي يترتب على هذا المعنى. مع بيان معناه الصحيح وبيان حقيقة التوحيد الذي يعنونه الرسل؟

ج - أما ما تقدم فيما تضمنته تلك الأنواع الثلاثة من أنواع التوحيد عند أهل الكلام حق أو باطل ولو كانت جميعها حقا لنفع المشركين إقرارهم بأن الله هو الخالق.

والإله عند المتكلمين^(١) معناه: القادر على الاختراع وعليه يكون من أقر بأن الله قادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أن لا إله إلا الله/ وهذا غير صحيح لأن المشركين كانوا يقرون بهذا وهم مع ذلك مشركون كما تقدم. والمعنى الصحيح: للإله أنه هو الذي يستحق أن يعبد فهو إله بمعنى مألوه أي معبود. وحقيقة التوحيد الذي بعث به الرسل هو أن تعبد الله وحده لا شريك له.

س٦٥: ما غاية التوحيد عند المتكلمين والصوفيين؟ وهل تكفي هذه الغاية في تحقيق التوحيد ولماذا؟ وما مبلغ التوحيد عندهم؟

ج - غاية التوحيد عند المتكلمين هو الإقرار بتوحيد الربوبية وهو أن الله رب كل شيء ومليكه ولا يكفي ذلك في تحقيق التوحيد لأن المشركين كانوا مقربين بذلك فلم ينفعهم إقرارهم وقتلهم الرسول ﷺ.

(١) انظر حاشية الخياي على شرح العقائد ٥١، وحاشية الكستلي عليه ٦٣، وحاشية الجندي عليه

وهكذا الصوفية نهاية التوحيد عندهم هو شهود توحيد الربوبية لا سيما إذا غاب العارف عندهم بموجوده^(١) عن وجوده وبمشهوده^(١) عن شهوده وبمعروفه^(١) عن معرفته ودخل في فناء توحيد الربوبية بحيث يفني من لم يكن ويبقى من لم يزل فهو عندهم هو الغاية التي لا غاية وراءها.

س ٦٦: اشرح معنى الفناء. وبين أقسامه. وما الصواب منها؟ وأيها تعنيه الصوفية؟ وهل هو نقص أو كمال؟

ج - تعريف الفناء: هو مصدر فني يفني ومعناه الاضمحلال والتلاشي^(٢) والعدم وأقسامه ثلاثة:

(١) - الفناء الديني الشرعي. ومعناه أن يفني العبد عما لم يأمر الله به بفعل أو أمره ويفنى عن عبادة غيره بعبادته نحو قوله تعالى: (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم) [التوبة: ٢٤]..

(٢) - الفناء عند الصوفي^(٣): وهو أن يفني بموجوده عن وجوده وبمشهوده عن شهوده وبمذكوره عن ذكره وبمعروفه عن معرفته وبمعبوده عن عبادته وهذه حال نقص لأنه لم يعرف عن النبي (ﷺ) ولا عن السابقين الأولين وهذا الفناء طريق إلى الاتحاد.

(٣) - الفناء عن وجود السوي: بحيث يرى أن وجود المخلوق هو عين وجود الخالق وأن الموجود فيها واحد بالعين وهذا قول أهل الإلحاد الذين هم أضل العباد.

(١) المراد عن «الموجود» و«المشهود» و«المعروف» هنا هو الله تعالى عند هؤلاء الصوفية فغايتهم أن يصلوا في الرياضة إلى حد يزعمون أنه لا موجود إلا الله، ولا مشهود إلا الله ولا معروف إلا الله، وهذه العقيدة من أعظم الكفر فإنه يصرح بالاتحاد الذي لا إلحاد أعظم منه.

(٢) راجع مختار الصحاح ٢١٥.

(٣) الفناء هو عدم الإحساس بعالم الملك والملكوت وذلك بالاستغراق في عظمة الباري ومشاهدة الحق. التعريفات ١٦٩.

س٦٧: ما المراد بالقدر. وما مذهب الجبرية فيه. وما التشابه بين قولهم
وقول المشركين في هذا النوع؟

ج - القدر أفراد الله في خلقه وهو نظام التوحيد كما قال ابن عباس^(١)
وتقدم مذهب أهل السنة فيه.

والجبرية يثبتون - القدر - مع الغلو فيه حيث جعلوا حركات العباد
اضطرابية كحركة المرتعش والعبد مجبوراً على أفعاله لا مشيئة له فيها ولا
اختيار ورئيسهم الجهم بن صفوان.

ووجه الشبه بينهم وبين المشركين أنهم يشبهون المشركين من جهة
قولهم إن العباد لا خيار لهم في حركاتهم كحركات الأشجار ويفارقون
المشركين من جهة أن الجبرية يثبتون الأمر والنهي والثواب والعقاب.
ولكن يضعف إيمانهم بذلك وإثباتهم له بقولهم بالإرجاء وهو تأخير
الأعمال عن الإيمان وعليه يكون الناس في الإيمان سواء عندهم.

س٦٨: اذكر أقسام المرجئة في الإيمان وبين وجه الخطأ فيها؟

ج - أقسام المرجئة هي:

١ - منهم من يقول الإيمان مجرد المعرفة بالقلب وهو قول
الجهمية الأولى.

٢ - منهم من يقول الإيمان مجرد تصديق القلب واللسان وبه يقول بعض
مرجئة الفقهاء. كالإمام أبي حنيفة وصاحبيه والطحاوي رحمهم الله.

٣ - منهم من يقول الإيمان مجرد القول باللسان وهو قول
الكرامية^(٢).

(١) انظر العقيدة الطحاوية وشرحها ٢٧٣.

(٢) مقالات الإسلاميين (١/٣٢٣).

س ٦٩: من هم الكرامية. وما قولهم في صفات الله والوعد والقدر وما قولهم في الإيمان؟

ج - الكرامية أتباع أبي عبدالله محمد بن كرام. ومذهبهم في صفات الله والقدر والوعد كغيرهم من المتكلمين فيه. منه ما هو حق ومنه ما هو باطل والغالب عليهم إثبات الصفات مع الغلو فيها.

وأما قولهم في الإيمان فقول منكر لم يسبقهم إليه أحد حيث جعلوا الإيمان قولاً باللسان فقط وعندهم أن المنافق مؤمن مخلص في النار فخالفوا أهل السنة بالاسم لا بالحكم حيث سمّوا المنافقين مؤمنين، ولكنهم حكموا عليهم بأنهم مخلصون في النار^(١).

س ٧٠: ما قول الكلابية والأشعرية في القدر؟ ولماذا يعدون خيراً من تلك الطوائف في باب الصفات؟

ج - الكلابية هم أتباع محمد بن عبدالله بن سعيد بن كلاب وهو من المنتسبين إلى السنة وهم خير من تلك الطوائف في الصفات لأنهم يثبتون الصفات الخيرية وأصحاب ابن كلاب في الصفات كالحارث المحاسبي والقلاسي ونحوهما خير من الأشعري في هذا وهذا لأنه كلما كان الرجل إلى السلف أقرب كان قوله أعلى وأفضل ومذهب الأشعرية إثبات القدر وأن أفعال العبد بقدرته الله تعالى وخلقها وأن للعبد كسباً فيها، ولكنه مجبور في كسبه أيضاً فمال مذهبهم في القدر إلى الجبر^(٢).

(١) انظر الفرق بين الفرق ٢١٢ والإيمان لشيخ الإسلام ١٢٦ وشرح الطحاوية ٢٧٣.

(٢) انظر الملل والنحل ٩٦/١-٩٧، والمحصل ٢٨٠، ٢٩٣، والمواقف ٣١١، والجوهرة مع التحفة ١٠٤-١٠٥، والروضة البهية ٢٦.

س٧١: تحدث عن مذهب المعتزلة في القدر. وما وجه كونهم أخف ضللاً من غيرهم؟

ج - المعتزلة ينكرون القدر وأن الله الخالق لحركات العبد فالعبد يخلق فعل نفسه فهم من هذه الجهة مشركون. وهم بإنكارهم للقدر يقولون بالوعد والوعيد ويقولون مرتكب الكبيرة خالد في النار وليس بمؤمن والله لا يغفر له إلا بالتوبة^(١).

ونحو ذلك مما في الوعد والوعيد وهذا خير من إثبات القدر مع الغلو فيه وإنكار الأمر والنهي والوعد والوعيد.

س٧٢: ذكر المؤلف أن أهل الكلام وأرباب التصوف المجبرة أشد من المعتزلة ما وجه ذلك؟

ج - إن هؤلاء الطوائف يعظمون الأمر والنهي والوعد والوعيد ولكنهم مكذبون بالقدر وأما أهل الكلام والتصوف فأثبتوا القدر وأثبتوا خلق الله للأشياء وهذا حسن صواب ولكنهم قصروا في الأمر والنهي والوعد والوعيد وأفرطوا حتى أفضى بهم ذلك إلى الإلحاد فأشبهوا المشركين القائلين (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا)^(٢) / والقدرية أشبهوا المجوس حيث إنهم زعموا أن العبد خالق لأفعاله لكن أولئك شابهوا المشركين ولا شك أن المشركين شر من المجوس.

س٧٣: ذكر المؤلف انقسام أهل الضلال في القدر إلى ثلاث فرق، وضح ذلك؟

ج - أهل الضلال في القدر انقسموا إلى ثلاث فرق: مجوسية،

(٢) الأنعام: ١٤٨.

(١) راجع الفرق بين الفرق ١١٤-١١٥.

ومشركية، وإبليسية وتوضيح ذلك كالآتي :
أولاً: المجوسية: كذبوا بقدر الله وغلاتهم أنكروا مرتبتي العلم
والكتابة ومقتصدوهم أنكروا عموم مشيئته وخلقه وقدرته وهؤلاء
هم المعتزلة وإن آمنوا بأمره ونهيه .
ثانياً: المشركية: الذين أقروا بالقضاء والقدر وأنكروا الأمر
والنهي وهؤلاء هم من يدعي الحقيقة من المتصوفة .
ثالثاً: الإبليسية الذين أقروا بالقضاء والقدر والأمر والنهي لكنهم
جعلوا هذا متناقضاً من الرب وطعنوا في حكمته وعدله .

س ٧٤: ما الأصلان اللذان لا بد منهما في الأمر والقدر والعبادة، وضح ذلك؟

ج - الأصلان اللذان لا بد منهما في الأمر والاجتهاد في الامتثال علماً
وعملاً فلا تزال تجتهد في العلم بما أمر الله والعمل بذلك ثم عليه
أن يستغفر ويتوب من تفريطه في الأمور وتعديه الحدود .
أما في القدر: فعليه أن يستعين بالله في فعل ما أمر به ويتوكل
عليه وأن يصبر على المقدور .
أما في العبادة: إخلاص الدين لله وموافقة أمره الذي بعث به
رسله .

س ٧٥: وضح القاعدة الثالثة التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية؟

ج - إجراء النصوص على ظاهرها بدون تحريف لقوله تعالى: ﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾ (الزخرف: ٣) .
ولا فرق في هذا بين نصوص الصفات وغيرها، بل قد يكون
التزام الظاهر في نصوص الصفات أولى وأظهر .

س٧٦: ما الرد على من قال بأن نصوص الصفات لا يجوز إجراؤها على
ظاهرها لأن ظاهرها غير مراد؟

ج - الرد عليه أن يقال: ماذا تريد بالظاهر أتريد بالظاهر ما يظهر من
نصوص الصفات من المعاني اللاتقة بالله من غير تمثيل فهذا
الظاهر مراد الله ورسوله قطعاً ويجب الإيمان به شرعاً لأنه حق.
أم تريد بالظاهر ما فهمته من التمثيل؟ فهذا غير مراد، لأن هذا
الظاهر الذي فهمته كفر وباطل بالكتاب والسنة وإجماع السلف،
والصواب أن يقال أن ظاهر نصوص الصفات - مراد، وأنه لا
يفهم من نصوص الصفات إلا معنى يليق بالله.

س٧٧: بين خطأ من يجعل ظاهر النصوص معنى فاسداً وينكرونها؟ مع
التمثيل؟

ج - يكون خطؤهم من وجهين:
الوجه الأول: أن يفسروا النص بمعنى فاسد، لا يدل عليه اللفظ
فينكرونها لذلك ويقولون: إن ظاهره غير مراد. المثال على ذلك:
قوله تعالى في الحديث القدسي «يا ابن آدم مرضت فلم
تعطني»^(١).. قالوا: فظاهر الحديث أن الله يمرض وهذا معنى
فاسد فيكون غير مراد.

فنقول: هذا المعنى الفاسد ليس ظاهر اللفظ، لأن سياق الحديث
يمنع ذلك فقد جاء مفسراً بقوله: أما علمت أن عبدي فلانا مرض
فلم تعده،... وهذا صريح في أن الله لم يمرض وإنما حصل
المرض من عبد من عباده.

مثال آخر: في الأثر «الحجر الأسود يمين الله في الأرض فمن

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٩).

صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبّل يمينه^(١).
من حديث ابن عباس موقوفاً.

قالوا: فظاهر الأثر أن الحجر نفسه يمين الله في الأرض، وهذا معنى فاسد فيكون غير مراد.

فنقول: الحجر الأسود ليس نفس يمين الله لأنه قال: يمين الله في الأرض فقيده في الأرض، ومعلوم أن الله في السماء، وقال: «فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبّل يمينه» ومعلوم أن المشبه غير المشبه به.

الوجه الثاني: أن يفسروا اللفظ بمعنى صحيح موافق لظاهره، لكن يردونه لاعتقادهم أنه باطل عندهم وليس بباطل عندنا.

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ (طه: ٥).

قالوا: فظاهر الآية أن الله علا على العرش، والعرش محدود، فيلزم أن يكون الله محدوداً، وهذا معنى فاسد فيكون غير مراد.

الجواب عليه أن يقال: إن الله قد علا على عرشه علوا يليق بجلاله وعظمته، ولا يماثل علو المخلوق على المخلوق، ولا يلزم منه أن يكون الله محدوداً، وهو علو يختص بالعرش، والعرش أعلى المخلوقات فيكون الله تعالى عالياً على كل شيء وهذا من كماله فيكيف يكون معنى فاسداً غير مراد.

مثال آخر: قوله تعالى: ﴿بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ (المائدة: ٦٤).

(١) موضوع راجع ضعيف الجامع (٢٧٧٢).

قالوا: فظاهر الآية أن لله تعالى يدين حقيقتين وهما جارحتان، وهذا معنى فاسد فيكون غير مراد.

فنقول: إن ثبوت اليمين الحقيقتين لله عز وجل لا يستلزم معنى فاسداً، فإن لله تعالى يدين حقيقتين تليقان بجلاله وعظمته بهما يأخذ وبهما يقبض ولا تماثلان أيدي المخلوقين وهذا من كماله وكمال صفاته.

مثال آخر: قوله صلى الله عليه وسلم: إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء^(١).

فقالوا على الوجه الأول: ظاهر الحديث أن قلوب بني آدم بين أصابع الرحمن فيلزم منه المباشرة والمماساة وأن تكون أصابع الله سبحانه داخل أجوافنا، وهذا معنى فاسد فيكون غير مراد.

وقالوا على الوجه الثاني: ظاهر الحديث أن لله أصابع حقيقية والأصابع جوارح وهذا معنى فاسد فيكون غير مراد.

فالجواب: من جهتين

١ - أنه قد دل السمع والعقل على أن الله تعالى بائن من خلقه، ولا يحل في شيء من خلقه ولا يحل فيه شيء من خلقه، وأجمع السلف على ذلك هذا أولاً.

٢ - أن البينية لا تستلزم المباشرة والمماساة فيما بين المخلوقات كقوله تعالى: ﴿والسحاب المسخر بين السماء والأرض﴾ [البقرة: ١٦٤] فإن السحاب لا يباشر السماء ولا الأرض فكيف بالبينية فيما بين المخلوق والخالق الذي وسع كرسيه السموات والأرض.

الجواب على الوجه الثاني: أن ثبوت الأصابع الحقيقية لله تعالى لا

(١) رواه مسلم (٢٦٥٤).

يستلزم معنى فاسداً، فإن لله تعالى أصابع تليق به عزل وجل، ولا تماثل أصابع المخلوقين.

س٧٨: هل قوله تعالى: ﴿لما خلقت بيدي﴾ مثل قوله ﴿مما عملت أيدينا﴾؟

ج - بينهما فرق ثابت من وجوه:

الأول: من حيث الصيغة، فلو كانت الآية الثانية نظيرة للأولى لكان لفظها: لما خلقت يداي فيضاف الخلق إليهما، كما أضيف العمل إليها. الثاني: أن الله أضاف في الآية الأولى الفعل إلى نفسه مُعدى بالباء إلى اليمين فكان سبحانه هو الخالق، وكان خلقه بيديه.

وأما الآية الثانية: «مما عملت أيدينا» فأضاف الفعل فيها إلى الأيدي المضافة إليه، وإضافة الفعل إلى الأيدي كإضافته إلى النفس.

الثالث: أن الله تعالى أضاف الفعل في الآية الأولى «لما خلقت بيدي»، معدى بالباء إلى يدين اثنين. ولا يمكن أن يراد بهما نفسه لدلالة الشنية على عدد محصور باثنين، والرب جل وعلا إله واحد.

وأما الآية الثانية فأضاف الفعل إلى الأيدي المضافة إليه مجموعة للتعظيم فصار المراد بها نفسه المقدسة.

س٧٩: اذكر القاعدة الرابعة التي ذكرها شيخ الإسلام.

ج - توهم بعض الناس في نصوص الصفات أنها تماثل صفات المخلوقين.

س٨٠: توهم بعض الناس أن نصوص الصفات تماثل صفات المخلوقين ما المحاذير المترتبة على هذا الوهم الباطل؟

ج - يترتب على هذا الوهم الفاسد أربعة محاذير:

١ - أنه فهم من النصوص صفات الخالق تماثل صفات المخلوقين، وظن أن ذلك هو مدلول النص، وهذا فهم خاطيء، فتمثيل الخالق بالمخلوق كفر وضلال لأنه تكذيب لقوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ (الشورى: ١١).

٢ - أنه جنى على النصوص حيث نفى ما تدل عليه من المعاني الإلهية، ثم أثبت لها معاني من عنده، لا يدل عليها ظاهر اللفظ.

٣ - أنه نفى ما دلت عليه النصوص من الصفات بغير علم فيكون بذلك فائلاً على الله ما لا يعلم وهذا محرم بالنص والإجماع.

٤ - إنه إذا نفى عن الله عز وجل ما تقتضيه النصوص من صفات الكمال لزم أن يكون الله سبحانه متصفاً بنقيضها من صفات النقص، وهذا لا يجوز في حق الله عز وجل.

س٨١: بين ما وقع فيه المشبه في قوله تعالى: ﴿والسما بنيناها بأيدي﴾.

ج - قد يتوهم أحد من الناس أن بناء إياها كبناء المخلوق سقف البيت، بحيث يحتاج إلى زنبيل ومجارف وضرب لبن، وجبل طين ونحو ذلك. وهذا ظن فاسد.

مثال يوضح ذلك:

قوله تعالى: ﴿أأمتن من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور﴾ (الملك: ١٦) فيتوهم واهم أن الله تعالى داخل السماء، وأن السماء تحيط به فينفي بناء على هذا الوهم كون الله تعالى في السماء ومنشأ هذا الوهم ظنه أن «في» التي للظرفية تكون بمعنى واحد في جميع الموارد وهذا ظن فاسد فإن «في» يختلف معناها بحسب متعلقها.

وعلى هذا فيخرج قوله تعالى: ﴿أأمتن من في السماء﴾ على أحد وجهين:

أ - إما أن تكون السماء بمعنى العلو فمعنى كونه في السماء أنه في العلو المطلق فوق جميع المخلوقات.

ب - وإما أن تكون «في» بمعنى على وعلى هذا فيكون معنى قوله تعالى: ﴿أَأَمْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ﴾ أي على السماء أي فوقه، والله تعالى فوق السموات وفوق كل شيء.

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
١- شرح قول شيخ الإسلام «فإنهما مع حاجة كل أحد»	٩
٢- شرح قول شيخ الإسلام «فالكلام في باب التوحيد» إلخ	٩
٣- شرح قول شيخ الإسلام «هو من باب الخبر»	١٠
٤- شرح قول شيخ الإسلام «والكلام في الشرع والقدر»	١١
٥- شرح قول شيخ الإسلام «وأما الكلام في القدر»	١١
٦- شرح قول شيخ الإسلام «وهو التوحيد في القصد»	١٢
٧- شرح قول شيخ الإسلام «ولا يشتون إلا وجوداً مطلقاً» إلخ	١٣
٨- شرح قول شيخ الإسلام «وجعلوا هذه الصفة الأخرى» إلخ	١٤
٩- شرح قول شيخ الإسلام «فمنهم من جعل العليم والقدير» إلخ	١٥
١٠- شرح قول شيخ الإسلام «المترادفات»	١٦
١١- شرح قول شيخ الإسلام «ومنهم من قال عليم بلا علم»	١٦
١٢- شرح قول شيخ الإسلام «ولو أمعنوا النظر»	١٧
١٣- شرح قول شيخ الإسلام «ولكنهم من أهل المجهولات»	١٨
١٤- شرح قول شيخ الإسلام «والحادث ممكن ليس بواجب»	١٨
١٥- شرح قول شيخ الإسلام «بل الذهن يأخذ معنى مشتركاً»	١٩
١٦- شرح قول شيخ الإسلام «ولكن ليس للمطلق مسمى موجود»	٢١

- ١٧- شرح قول شيخ الإسلام «ما دل عليه الاسم بالمواطأة» ٢٢
- ١٨- شرح قول شيخ الإسلام «وإن قلت الغضب . . » ٢٢
- ١٩- شرح قول شيخ الإسلام «عدم الدليل المعين . . » ٢٣
- ٢٠- شرح قول شيخ الإسلام «فإن قلت إنما يمتنع نفي النقيضين» ٢٤
- ٢١- شرح قول شيخ الإسلام «وهؤلاء الباطنية منهم . . » ٢٦
- ٢٢- شرح قول شيخ الإسلام «ومن يقول : لا أثبت واحداً منهما» ٢٧
- ٢٣- شرح قول شيخ الإسلام «وإن قال نفاة الصفات . . » ٢٨
- ٢٤- شرح قول شيخ الإسلام «واجب الوجود» ٢٩
- ٢٥- شرح قول شيخ الإسلام «إنها لا تدرك الأمور المعينة» ٢٩
- ٢٦- شرح قول شيخ الإسلام «وقد غفلوا عن كون الكليات» ٣٠
- ٢٧- شرح قول شيخ الإسلام «هو المركب من الجواهر المفردة . . » ٣١
- ٢٨- شرح قول شيخ الإسلام «فالذين لا يصفونه إلا بالسلوب» ٣٣
- ٢٩- شرح قول شيخ الإسلام «قيل له : هذا اصطلاح» ٣٤
- ٣٠- شرح قول شيخ الإسلام «قالوا : هذا إنما يكون إذا كان قابلاً» ٣٧
- ٣١- شرح قول شيخ الإسلام «فهي متفقة متواطئة . . » ٤٠
- ٣٢- شرح قول شيخ الإسلام «فمن اشتبه عليه وجود الخالق» ٤٢
- ٣٣- شرح قول شيخ الإسلام «ولهذا تبين أن التشابه يكون في الألفاظ» ٤٤
- ٣٤- شرح قول شيخ الإسلام «أنت في تقابل السلب والإيجاب» ٤٥
- ٣٥- شرح قول شيخ الإسلام «الوجه الثالث . . » ٤٦

- ٣٦- شرح قول شيخ الإسلام «الوجه السادس . . .» ٤٧
- ٣٧- شرح قول شيخ الإسلام «من التوحيد هو شهود هذا التوحيد» ٥٠
- ٣٨- شرح قول شيخ الإسلام «أولئك يشبهون المجوس . . إلخ» ٥١
- ٣٩- شرح قول شيخ الإسلام «ومن قال إنه يفعل عندها . . إلخ» ٥٢
- ٤٠- شرح قول شيخ الإسلام «وذلك أنه ما من سبب . . إلخ» ٥٣
- ٤١- شرح قول شيخ الإسلام «ولهذا من قال: إن الله لا يصدر عنه إلا واحد» ٥٤
- ٤٢- شرح قول شيخ الإسلام: «عارض كالسكر» ٥٥
- ٤٣- شرح قول شيخ الإسلام «ولكن توهمت طائفة أن للحسن . . إلخ» ٥٦
- ٤٤- شرح قول شيخ الإسلام «فمن نظر إلى القدر . . إلخ» ٥٨
- ٤٥- شرح قول شيخ الإسلام «فالأحوال التي يعبر عنها بالاصطلام» ... ٦٠
- ٤٦- شرح قول شيخ الإسلام «فصل في أقسام الفناء» ٦٣
- ٤٧- شرح قول شيخ الإسلام «وهو أن يفنى عن شهود ما سوى الله» . ٦٥
- ٤٨- شرح قول شيخ الإسلام «فهو الفناء عن وجود السوي» ٦٥
- الأسئلة والأجوبة المرضية على الرسالة التدمرية ٦٧
- فهرس الموضوعات ١١٩